اتحاد المؤرخين العرب

الامانة العامة - بغداد

الفكر الفلسفي اليهودي

الحديث والمعاصر

قراءة نقدية

الاستاذ الدكتور

عبد الستار الراوي

٩

سلسلة دراسات في التاريخ

منشورات اتحاد المؤرخين العرب

اتحاد المؤرخين العرب
الامانة العامة ـ بغداد

الفكر الفلسفي اليهودي

الحديث والمعاصر

قراءة نقدية

الاستاذ الدكتور
عبد الستار الراوي

٩
منشورات اتحاد المؤرخين العرب
سلسلة دراسات في التاريخ
١٤٢٣ هجرية
٢٠٠٢ ميلادية

تنــويه

يسعدني ان اتقدم بالعرفان والامتنان للصديــق الاســـتاذ الدكتـور محمـد جاسـم المشـهداني/ الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب الـذي ابـدى حماسة مفعمة بالتقدير والمحبة لنشـر واخـراج الكتاب، مساهمة علمية تنضم الى موكب الثـورة والمقاومة، على جبهة انتفاضة الاقصى.

د. عبد الستار الراوي

إشـــــــارة

هل بوسع الكلمات ان تختزل المسافة
بين البارحة والآن واللحظة الآتية
اذ تنهض زينب الكبرى، وردة دم،
ويولد ثانية عز الدين القسام
يشرقان معاً
الوعي والتاريخ
الانسان والثورة
مذ اطلق سعد عزالدين الراوي
اول رصاصة فدائية
على رأس العنصرية الوضيعة
اختيار عراقي نبيل
ليوقظ الملاك الفلسطيني الجميل محمد الدرة من غفوته
فتتحد العقول..
وتتعانق الأفئدة
من اجل الغد
لتشييد مدينة العرب الموحدة
مدينة العقل والمستقبل

عبد الستار الراوي

الافتتاحية

الـ (ماذا)؟! مكافئة للعقل النقدي، والعقل الذي يحضّ على (التقويم)، ينهض من حرارة الواقع، وليس من بطون النظريات، الهوامش، الذيول.

يستولد السؤال تلو السؤال، الماذا تفضي إلى ماذا لاحقة،علاقة العقل بالواقع. صيرورة ضرورية لا تشترط التوقف عن تأملات:

ـ الما وراء

ـ الما فوق،

ـ الما بعد.

لكنها توقظ عقل الواقع جدلياً،

الغاية: اعداد براهين (الفعل المؤجل)، ازاء عاديات القوة الآتية من الامبراطوريات المالية، لانتزاع حقائق الامة وجماليات الاوطان.

لا شيء يدحض فعل القوة الغاشمة، الا ـ الارادة ـ الخالقة لجواب اصيل يفتض باب الاسئلة المنسية،

المصير

النهضة

المستقبل

لم يعد ثمة غد مؤكد للكائن (العربي) ـ الامة. الفن، الانتفاضة، الابداع، ما لم تلتئم المسافة بين ثنائيات :

ـ الفكر والعمل.

ـ الفكرة ـ الحركة

ـ النظر ـ الواقع.

ـ البسالة ـ المغامرة.

ـ الآن ـ الغد.

ـ من هنا تجيء اهمية عرض (المقولات الفلسفية اليهودية)، ليس بقصد المعرفة الاكاديمية المجردة..او (العلم من اجل العلم)؟! بل الدعوة الى المراجعة والفحص، ونبذ (النهائيات) واعادة البرهان على (البديهيات والمشهورات)، والنفاذ الى لوحة السؤال! لنقض الآراء الشائعة، والاحكام القبلية واحصاء الوثوقيات (مقولات . نظريات).

المقولات الفلسفية اليهودية.. قد تجيء متأخرة عن الواقع والعصر والزمان كان يفترض ان تجري مراجعتها قبل نصف قرن من الآن.

وهذا دليل اضافي على تخلي عرب القرن العشرين عن الزمن وتجاهل قيمته.

آثرت ان تكون مقدمة الكتاب جملة من النصوص الفلسفية والادبية اليهودية، على سبيل التأمل والتدبر لاستخلاص الخطة المفيدة للاقتراب من عقل العدو، ومحاولة التعرف على طبيعة تفكيره، والكشف عن غاياته ومراميه.

تمهيد ..

المقولات الفلسفية اليهودية، توثق الاعتمادات الفكرية والإنشاءات النظرية، والمدركات والمفاهيم العقلية التي بسطها العقل اليهودي الحديث والمعاصر عبر مائة عام، منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر وإلى ما قبل الربع المنتهي من القرن العشرين، وقد مثلنا لهذا الفكر بسلسلة متتالية تمثل أبرز رواده ومنظريه، الذين أعادوا صياغة المسألة اليهودية عبر مناهج وأساليب متنوعة، ومختلفة، لكنها تلتقي جميعها عند غاية واحدة؛ وهي محاولة عقلنة التراث اللاهوتي، وإضفاء قدر من الحداثة على معقولاته .. والعمل على توثيق صلاته بالمذاهب الفلسفية الحديثة، للايحاء بأصالة اعتماداته الفكرية .

ولعلي أزعم بأن هذا العمل الذي أقدمه بين يدي القارئ، هو أولى التجارب العراقية في مجال تناول ودراسة الفكر الفلسفي اليهودي الحديث والمعاصر. في محاولة الاقتراب من النصوص الفلسفية الصهيونية في التقويم والنقد والتحليل .

وقد أفدت من المؤلفات السابقة بصفة خاصة من الأعمال الرصينة التي قدمتها الأكاديميات المصرية صاحبة السبق والريادة، وفي المقدمة منها، مؤلفات الدكتور عبد الوهاب المسيري، والدكتور عبد المنعم الحفني.

على أن اهتمامي كان منصباً على النصوص الأساسية للفلاسفة اليهود أنفسهم، والتي أخرجها ونشرها، مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت.

مقدمة ..

يقرن العقل الفلسفي الصهيوني المسيحية، والإسلام بـ (الاستكانة والإذعان) ؟! وأن الديانتين حسب زعمه : ليستا ألا نقوشاً على قبور الأمم التي شيّدها الظلم البربري ؟!

أما اليهودية : فإنها أشبه بـ (النواة الحية)، حاملة للحياة ولـ (قانون بقائها وتطورها) .. وأن ثمة حقيقة مؤكدة ميزت نمو وازدهار الشرائع الموسوية، وأمدتها بـ (إرادة) مواجهة الآخر عبر حدثين عظيمين، رحلتهما الطويلة في أرض مصر والعراق هما :

الحدث الأول : الأنعتاق من مصر

الحدث الثاني : العودة من بابل .

وليس أمام شعب التوراة إلا أن يعمل لإحداث الهدف الثالث :

الخلاص من المنفى (الثالث) ..

وتلك هي رسالة الصهيونية الحديثة التي حددت خطوات (الحقبة الثالثة) الآتية ..

ولم يك مؤتمرها الأول (١٨٩٧) إلا واحداً من وسائل العمل عبر ثلاثية الحلم التلمودي :

ـ فكرة .

ـ حركة

ـ دولة ؟!

ومن أجل ذلك عقدت المصالحة بين الحلم والواقع، الهرطقة والأيمان، الدين والفلسفة، الحاخام والملحد،

الجميع بدأ يعمل كل حسب رؤيته ومنهجه..

الصلاة والفعل .

الرصاصة والدعاء .

الحضور الإلهي لدى الحاخامات، هو ذاته (الوعد الإلهي) لدى العلمانيين بصفته (حلماً موحياً) ؟!

ولكن بـ(جهود اليهود أنفسهم) يتحقق:

الخلاص الثالث !

ولكن عبر أسئلة يومية يلقيها اليهودي على نفسه

كيف ؟

متى ؟

أين ؟

تنتظم الأسئلة في معنى واحد محدد .

خلاص اليهودية المتناثرة في بقاع العالم لن يحدث بمعجزة فجائية . لن يهبط (الرب) بغتة ويأمر ــ شعبه ــ بالتقدم .

ولن يبعث الإله ــ المسيح ــ من السماء بلمحة عين،

.. كيف ومتى .

..سيأتي الخلاص فقط عندما يتجمع اليهود تباعاً .. مثلما تجمع حبات القمح في السنابل .

عندها .

يلتئم الجرح .. وتلتقي الأفئدة،.. وتتحد السواعد والعقول.

فيختارون القادة.. ويباشرون مغادرة المنفى. صوب أرض الميعاد (فلسطين)! .. بغير العمل المنظم،

ومشاق المسؤولية ...

والإيثار ..

والجهد المتواصل،

والإرادة ..

لن تحدث أعجوبة (العودة) .

تلك هي رسالة اليهودية في نهاية القرن التاسع عشر كما يراها ويدعو إليها (موسى هس) ..

.. ومن أجل أن يتواصل العمل مع الحلم لابد أن يعتقد عموم اليهود بأنهم (شعب منذ البداية وحتى الآن، لم ينقطع عن كونه أمة حتى بعد أن دمرت مملكتنا وشردنا من أرضنا.. وليس ثمة من قوة بإمكانها محو صفاتنا اليهودية .. نحن أمة روحية، هذه هي العقيدة التي يجب أن ننادي بها ". والتي تعني ــ العودة ــ ؟!

ولكن لماذا ؟ لماذا الهجرة ؟!

ــ إنها تعني؛

الغبطة، الأهداف الكبرى، الأرض المقدسة !

سيذهب أولئك الذين يحبون ذكريات أسلافهم ؟!

إنهم سيعيشون معاً ؛ (المهاجرون والمقيمون) .. وستزدهر الحياة مرة أخرى ؟!

ــ يتوجب على المحسنين اليهود ألا يتأخروا

إذا أرادوا ان يساعدوا اخوتهم التعساء، بل يبادروا الى (شراء الأراضي)، والسماح لليهود بأن يسكنوها لبدء حياة جديدة .

ــ يجب أن يكون الحدث الوحيد بين أولئك الذين يحبون إخوتهم هو فكرة ــ توطين ــ اليهود في أرض إسرائيل ؟!

ــ دعونا الآن ألا نبقى هادئين في دعةٍ وسكينة من أجل حركة الاستيطان في صهيون إلى أن يبزغ ضوء الفجر وتبدأ جراحنا بالالتئام ؟!

وتجيء رسالة (اليعازر بن يهوذا ١٨٥٨ ــ ١٩٢٣) التي بعث بها إلى مجلة الفجر عام ١٨٨٠،: " .. دعنا نعمل على زيادة عدد اليهود في أرضنا المهجورة ؟!! وإحياء اللغة لايتم إلا بعد إحياء الأمة ..

بما أن العاطفة تحرّك قلب الإنسان أكثر من العقل، فلنخاطب أفئدة اليهود وندعوهم لاستعمار أرض أجدادهم التي تنتظرهم "

أما موشيه لايب (١٨٤٣ ــ ١٩١٠) الداعية الصهيوني، الذي كتب عام ١٨٨١ في يومياته بعنوان : " طريق العودة "

يلوم نفسه على انقطاعه عن المشاركة بما شعر به أجداده طيلة أيام حياتهم ويعبر عن سروره لأن الفرصة واتته أخيراً للتعويض عما فاته :

" الأمة ككل أعز علينا من كل الفروقات حول التّدين المتزمت أو التساهل الليبرالي في مراعاة شعائرنا ..

حين تصبح الأمة شغلنا الشاغل، تزول كل الشيع والفرق، فلا مجددون ولا محافظون ولا متدينون أو هراطقة .. بل كلنا يجب أن يعمل في سبيل صهيون .

وبذات المنهج التعبوي يخاطب (ليوبنسكر ١٨٢١ ــ ١٨٩١) اليهود في العالم عبر ندائه الذي يحث فيه على وجوب ــ الاستقلال الذاتي والإقليمي ــ بوصف اليهود على حد قوله ضيوفاً في كل مكان، وليسوا أصحاب منزل خاص بهم " ؟! الأمر الذي يقضي العمل على إذكاء الوعي بكل مستوياته الروحية والقومية .. وإن مثل هذا الوعي لابد أن يتطابق مع الضرورة اليهودية التي توجب إيجاد وطن لليهود .؟!

.. فالمسألة اليهودية التي ظل حلها عسيراً كـ(تربيع الدائرة) لابد أن تجد منفذاً لوضع نهاية للمأساة الروحية ..

الحل : هو أن يصبح اليهود أمة .

والأمة لها وطن .. والأرض ، هي فلسطين .

.. وعليه لابد أن نتخلى عن المجادلات العقيمة التي هي مضيعة للوقت والطاقة معاً.. إذ لا يمكن مجابهة الكره والتحامل والنوايا السيئة ضدنا بمنطق العقل مهما كان قوياً، بل يتعين وضع هذه القوى الشريرة في حدود قوية مادية، أو يتم إهمالها كأي قوة طبيعية عمياء، يجب علينا أن نأخذ بالحسبان أموراً أخرى ذات أهمية تمنع إندماج اليهود أو مساواتهم مع الشعوب الأخرى .

.. العداء الطبيعي هذا هو أساس المشاكل كلها، وجوهر سوء التفاهم والاتهامات الباطلة والصحيحة بين الطرفين المتناحرين .

فبدلاً من أن نفكر منطقياً في المشكلة وأن نتصرف بطريقة عاقلة، فثمة من يصنعون أملهم في ــ العدالة الأبدية ــ ويعتقدون بسذاجة أن تمسكهم بهذه المثالية المطلقة سيوفر لهم نتائج مطمئنة .

.. يجب ألا نحاول شرح أمور الدنيا وفقاً للمثل العليا، بل يتعين أن يكون (التعليل) هو بسط الأشياء للوصول إلى استخلاصات عملية .

.. إن أعظم كارثة حلت باليهودية هو أننا لسنا أمة، إنما نحن يهود فقط .. إننا قطيع منتشر في أرجاء المعمورة دونما راع يحمينا ويجمع شتاتنا، أما في أحسن الظروف، فقد نصل إلى مرتبة (الماعز) التي حسب التقليد الروسي تبيت في إسطبلات الخيل ..

.. مازلنا نعيش في هذا العصر تحت ظل التعسف الذي أنزلوه بنا، إننا نفتقد إلى احترام الذات، وإلى الشعور بالعزة الإنسانية التي استلبت منا ..

.. لا يمكن تبرير القول بأن ندع مصيرنا في أيدي الغير كما أنه ليس ثمة من مبرر مقبول قط، لأن نلوم أحداً على مصائبنا. يجب أن نبحث عن ــ شرفنا وخلاصنا ــ بإحياء روابط الوحدة القومية . " ؟!

... وإذا كان المشروع الصهيوني قد تقلب على صفحات التطير الإيديولوجي بمستوياته المعرفية العديدة، في محاولة تأطير الفكرة، فأن (هرتزل) يعد فيلسوف توصيف (الدولة) المنتظرة، بعد أن تمكن عبر مؤتمر (١٨٩٧) أن ينقل الفكريات العامة إلى محددات سياسية واضحة . يعبر عن شروط الخطوة التالية .

فالدولة التي يدعو إلى إقامتها، ليست فكرة خيالية. أو طرازاً من (اليوتوبيا) يتعذر الشروع في تحقيقها على حد قوله، ولكنها خطة محكمة تتطلب قوى هادفة، وجهداً مثابراً، لذلك فإنه آثر أن يضع أمام المؤتمر الصهيوني الأول، الآليات الأساسية التي من شأنها تحديد ملامح البناء المنتظر والتي لاتزيد عن مجموعة من (البراغي والعجلات) للدولة المقترحة: .. على أن الأثر العملي لمبادرة هرتزل، لاحقاً، أنه ألزم اليهود أن يباشروا الانتقال من دائرة (التحفيات) و (الأحلام الفردوسية المؤجلة)، إلى ساحات العمل بعموم مستوياته السياسية والثقافية والأعلامية، والتربوية.. باعتبار أن مقترح (الدولة)،هو الحل الوحيد لإقامة (الوطن القومي)، ويتعين أن يكون الغاية الأولى .

منذ اللحظة التي أنفض فيها مؤتمر ١٨٩٧، وحتى العودة إلى الأرض (الميعاد) ؟!! الأمر الذي فرض شرط (الحركة) بوصفها الأداة العملية لتحقيق المشروع الصهيوني !

إثر ذلك التقى (ماكس نوردو ١٨٤٩ ــ ١٩٢٣)، هرتزل ومدّ يده قائلاً: " إن كنت أنت مجنوناً فأنا كذلك أيضاً " . تعبيراً عن إعجابه وتأثره، وهو يصف مخطوطة هرتزل عن (الدولة اليهودية) : بـ " العمل العظيم، والنبوءة الكبرى " ؟! ثم ما لبث أن انضم نوردو إلى صف مؤسس

الصهيونية الحديثة ليصبح مساعده الأيمن، وأقرب مستشـــاريه وأكــثرهم حماسة وإخلاصاً لدعوته .

وكانت أولى خطوات نوردو على طريق المباشرة بـ(الحركة)، أي البدء بتنفيذ خطة هرتزل، ان دعا القيام بعمل حاسم يوطد الطريق لإقامة (دولـــة يهودية)، وليس مجرد (وطن قومي يهودي) في فلسطين. فــــراح يطـــالب بتحقيق (هجرة جماعية) على نطاق واسع، وأقترح أن يكون قوام الوجبــــة الأولى نصف مليون يهودي لكي تصبح فلسطين يهودية بالفعل .

... ويقول الشاعر اليهودي حاييم نخمــن بيــالك (١٨٧٣ ــ ١٩٣٤) الذي ثار فيها على الشتات وحياة المنفى في كتابه : " صحراء المـــوت "، بأن (رقعة النار) التي أوقد شرارتها هرتزل لابد أن تتسع لتصبــــح صوتـــاً للنهضة .. فلئن كانت (أخبار الأيام) الأول والثاني، آخر ما أنزل من الكتاب في تاريخ اليهودية . فإن دواعي المرحلة الراهنة تحض على كتابة جـــزء ثالث .. يدشن أياماً جديدة أخرى، وربما يكون هذا الجزء هـــو أهــم مــن الجزأين الأولين، لأنه سيكـــون جزء ــ العمل ــ الذي سوف يبدأ بـــدون شك بـــ(وعد بلفور)، وينتهي بتوراة جديدة ــ توراة الخلاص لعموم اليهود في العالم ــ .

.. وإذا كان(العمل) هو التعبير الواقعي لفلسفة ــ الحركة ــ فلــم يعــد ممكناً في رأي الروائي الروسي (جوزف بيرديشفسكي ١٨٦٥ ــ ١٩٢١)، الجمع بين السيف والكتاب.

" فاللحظة الراهنة تدعو أن يكون السيف صاحب القول بالفصل .

هذا الزمن هو زمن الشدة، زمن الحياة في معناها الجوهري، والكلمـــة ليست أكثر من ظل للحياة في شيخوختها، أما السيف فهو تجسيد لحـــرارة الحياة في أعرض خطوطها المادية والجوهرية "..

وبلغة شعرية مفعمة بالعواطف المتفجرة يواصل الروائي الصهيوني نصوص التعبئة الوجدانية إزاء مقابلات :

ما كان، وكائن، وما ينبغي أن يكون .

" راشيل تبكي على أبنائها،هذه هي مأساة التاريخ . الإيلام الذي يملأ قلوبنا ونفوسنا، الذكرى تهزها وتمزقها ..

عندما نقهر الماضي نكون قد قهرنا أنفسنا،

الإكسير والسم يوجدان في مادة واحدة .

فمن يرينا الطريق ؟!

ومن يمهده لخطواتنا التاليات ؟! .

السيف .. ولاشيء سواه .

لذلك فأن اللحظة الخالقة لن تحصل، وإن خلاص إسرائيل واليهود لن ينجز ما لم تتم مصالحتهم مع الكون والطبيعة ـ عبر الفعل المجيد الذي يعلي بناء الإنسان مصدر النبع في الخلق والإبداع .. لإقامة (النموذج اليهودي) الذي يستطيع أن يصمد في المستقبل ؟!

.. ينضم (جوزيف حاييم بريز ١٨٨١ ـ ١٩٢١) .

إلى موكب (العمل) ـ يكرس أعماله الأدبية والروائية، لما يسميه بالنهضة، يقول :

" علينا أن نبدأ،

أن نرسي حجراً فوق حجر

ولكن من سيقدم على ذلك؟!

هذا هو السؤال؟!

لكي نتغير كما يجب،

نحتاج إلى مجتمع، ولكي نخلق هذا المجتمع،

علينا أن نبدأ بأنفسنا . نغير أنفسنا،
تغييراً جذرياً ؟!

باشر (بيرل كاتز نيلسون ١٨٨٧ ـ ١٩٤٤) الزعيم الصهيوني العمالي، إعداد برنامج ثقافي كامل للحركة العمالية للتعبئة تجاه تحقيق المؤتمر الصهيوني الأول، فساعد عام ١٩٣٠ على تأسيس حزب (الماباي) الحالي،

... وهو الذي أقنع (بن جوريون) بالموافقة على تشكيل لجنة (الهاجاناه) لشؤون الهجرة، التي لعبت دوراً كبيراً في ترحيل يهود أوربا إلى فلسطين .

أما الحاخام صموئيل موهيليفر فقد كان من غلاة الصهاينة وفي مقدمة الدعاة إلى الاستيطان اليهودي في فلسطين،

..الذي بعث برسالة إلى المؤتمر الصهيوني الأول، انتهى فيها إلى الزعم باقتراب حصول الخلاص الإلهي على يد (الماشيح) المنتظر الذي سوف يجمع شمل اليهود في فلسطين ؟!

تلك شذرات من نصوص الفلسفة اليهودية .

لعلها تذكرة كافية لأن توقظ عقول وأفئدة بعض المثقفين العرب الذين انساقوا وراء أوهام التطبيع والتسوية، ومنتديات (السلام الإسرائيلي)؟! تحت ضغط وعي زائف، لا توقظ عقلانيته الخريطة التلمودية المعدة سلفاً لتأكل الإنسان والأوطان .

ولا يثير فكره جدل الدم وسقوط الملاك الفلسطيني محمد جمال الدرة على جبهة العقل العربي ..

أما أطفال وادي الرافدين ــ فليسوا إلا دمى من الشمع المذاب، تلــهو بها قوات الحلفاء، حيث اختلطت الخنادق بين الأعداء والأشــقاء .. حتــى ضاعت المفاهيم وفقدت (عقلانية التطبيع) ما بقي في جعبتها من حياء .

١ـ نحمن كروكمال[1] (١٨١٧ ـ ١٨٨٨)

ــ فيلسوف روسي، يعتنق اليهودية.

ــ متعدد الاهتمامات، إذ جمع بين: الفلسفة والتجارة والتأريخ .

ــ عندما اشتدت الوطأة على اليهود في روسيا، قرر ان يبادر على حد قوله في تحرير شعبه من الاضطهاد، فتنازل عن التجارة وضــروب البيــع والشراء . وآثر استثمار ــ تخصصــه ومعرفتــه بالتــاريخ، ــ ودرايتــه بالفلسفة، ليكرس حياته ب الكامل، لدراسة تأريخ الأقليات اليهودية ليفتــح أمام مواطنيه طريق المستقبل .

١ ــ أطلق على أول كتاب أنجزه عنوان :

" دليل الحائرين في هذا الزمان "[2].

..كرس معظم فصوله للحديث عما أســماه بــ(العبقريــة الروحيــة اليهودية " .

ويبسط آراءه حول هذه الدعوى، فيقول: إن لكل شعب روحانية كامنــة في اعماقه، منذ بداية تأريخه.

---

[1] حول سيرته الشخصية راجع المسيري. موسوعة المفاهيم الصهيونيــة. ص ٢١١ ــ ٢١٢. ط. القاهرة ١٩٧٥.

[2] العنوان إيماءة امتثالية لكتاب موسى بن ميمون (١١٣٥ ــ ١٢٠٤ م) المسمى "دلالة الحــائرين". محاكاة في الشكل مع الاختلاف في المضامين.

.. والشعب اليهودي يمتلك مثل هذه الروحانية ـ العبقرية،ويختص بها، فتركت أثرها على كل منتجاته الفكرية والروحية، فأصبحت بمثابة ـ هويته ـ التي تميزت عمن سواه؟!.. ترى: ما طبيعة هذه العبقرية ـ ماهيتها ـ؟!

يعد كروكمال الجواب طبقا للجدل الهيجلي! وعلـــى النحــو التخطيطــي (التوضيحي) الآتي:

الجدل الهيجلي

|

الامتياز العقلي

(العرقي)

|

الروح المطلق

(اليهودية)

|

إله اسرائيل

|

شعب اسرائيل

|

التعبير عن الارادة الإلهية

|

الأمة اليهودية المقدسة

وطبقا لخط الجدل الهليجلي، الذي لجأ اليه لتبرير العبقرية اليهودية؟!!، لينتهي الى تقريرية يزعم فيها: الى ان الأمة اليهودية، متفردة بذاتها، ومفارقة لجميع الامم، فكل امة تمر حسب نظرية التعاقب الدوري للتاريخ، بأربع دورات، (النمو)، (النضوج) (الاضمحلال).. ثم (الموت)!

واذا كان هذا التعاقب قدر الشعوب والحضارات الاخرى، فإن اليهود لا يمرون بمثل هذه الدورات، اذ ان الحياة تنبت فيهم مرة اخرى، ويبدأون دورة جديدة، ويفسر الفيلسوف الروسي القدرة اليهودية الفائقة على مقاومة الفناء والتغلب على الموت، بأن (لليهودية روح سرمدية تمتلك معرفة سر تجدد الحياة ذاتيا.. فبينما يسيطر على الامم الاخرى وجودها الجسدي الثقيل، فان الذي يهيمن على اليهود روح الجماعة ــ وحدها.. فتنهض من جديد، وتثبت مرة اخرى تجدد نفسها وتجدد الحياة من حولها".

وبذلك تبدو المسافة المفارقة بين ــ الروح العبقرية اليهودية ــ وبين ــ الجسد الثقيل ــ الذي يمثل الامم الاخرى: ولذلك فان الطرفين مختلفان تماما،

.. بل ان كروكمال يذهب في تأويلاته الذاتية الى اقصى نقطة متعالية في افق العقل الصهيوني، اذ يزعم بأن: "روح هيجل المطلقة ليست سوى ــ اله اسرائيل ــ القومي الذي يرتبط به الشعب اليهودي برباط وثيق، وتحقيق ارادة هذا الاله او الروح المطلق هو الشعب الاسرائيلي وحده لا غيره، وهو بمثابة المثل الاعلى، بل والمصير المحتوم.. وبذا تصبح امة التوراة ليس مجرد ظاهرة حضارية منعزلة عن الحضارات الاخرى، بل على الضد من ذلك تماما، فانها تصبح وثيقة الصلة بها، بل تحتويها كلها في وحدة عضوية منسجمة"؟!!

.. والنتيجة التي يمكن بناؤها: هي ان ميتافيزياء كروكمال المتعالية وهيجليتها المثالية[1] تكرس على نحو وثوقي لا جدلي: دعاوى اللاهوتيات القديمة، والتصورات اللا تاريخية ذات الطابع الماشيحاني، والرؤية الغيبية التي تنتهي الى ايمانية اسطورية ساذجة، تزعم ان اليهودية شعب الله المختار بوصفه مركز التاريخ؟!!

٢ ـ هرمان كوهين (١٨٤٢ ـ ١٩١٨)

١ـ يعد واحدا من بين ابرز الفلاسفة اليهود في الفكر الالماني الحديث، التيار المثالي بصفة خاصة الذي برز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان من دعاة "العودة الى كانط" او "الكانطية الجديدة"، التي كانت تعمل على تقديم وتطوير العناصر المثالية والميتافيزيائية في فلسفة كانط. متجاهلة عناصرها المادية والجدلية. فيجري احمال الشيء في ذاته، او تغييره بطريقة مثالية ذاتية على انه مفهوم (متطرف).

وقد وجدت الكانطية الجديدة تعبيرا كاملا لها في مدرستين المانيتين:

ـ مدرسة ماربورغ.

ـ مدرسة فرايبورغ.

---

[1] المثالية الهيجلية : تعرف بـ (المثالية الموضوعية) وهي احدى الانواع الرئيسية للمثالية، تذهب الى ان الروح اولية، والمادة ثانوية مستمدة منها.

وهي في تميزها عن المثالية الذاتية، لا ترى ان المصدر الاول للوجود العقل الانساني الشخصي، وانما ترى: انه وعي موضوعي من عالم آخر، هو (الروح المطلق)، او (العقل الكلي).. الخ.. واذا كان هيجل هو الممثل التقليدي للمثالية الموضوعية في القرن التاسع عشر، فان افلاطون قد سبقه الى ذلك، بوصفه اعظم مثالي موضوعي في العصر القديم.

راجع روزنتال ـ الموسوعة الفلسفية ص ٤٥٦.

وقد تزعم كوهين المدرسة الاولى والى جواره (ناتورب وكاسيرر) حيث اولى اهتماما خاصا لتفسير مثالي للمفاهيم العلمية وللمقـولات الفلسـفية، معتبرا اياها بمثابة بناءات منطقية.

٢ـ تشير بداية اقترابه من المسألة اليهودية، الى انه كان قليل الاهتمام بها، وانه كان (اندماجيا)، غير ان سـلطة التيـار المثـالي والتنظـيرات الصهيونية، زادت اهتمامه بالتدريج، وبدأ اولى تجاربه الفكرية في الدائـرة اليهودية، حين اقدم على اعداد درامة مقارنة بينها وبين المسيحية. زودتـه بالنتائج الآتية:

أ ـ اصل الانسان واصل عقله هو الله!

ب ـ العلاقة بين (المطلق والنسبي) علاقة تبادلية فـالله هـو مصـدر القانون، والانسان هو مصدر الاحساس بالواجب.

جـ عقيدة (الماشيح) جوهر اليهودية، وهي تعبر عن رغبـة الانسـان (اليهودي) في الارتقاء نحو (الكمال).

٣ـ وجد كوهين ان ثمة علاقة متماسكة بين (القومية والنبوة). فـالنبي حسب اعتقاده (هو المدافع عن الاخلاقيات العالمية، وان الانبياء مفكـرون تقدميون، حاولوا انقاذ الانسان من الاوهام والاساطير)..

وقد اتفق (احد هعام) معه على انكار الطبيعة الميتافيزيائية للنبوة، وهما يؤكدان ان الامة اليهودية هي وحدها التي تعبر عن اخلاق الانبياء العالية.

وان النبوة بهذا المعنى (الاختزالي) هي التعبير الدقيـق عـن الـروح القومية اليهودية.

وقد وافقهما (بوبر) على هذه النتيجة.

ومن هنا فان كوهين كان يعتقد ان (تشتيت) اليهود يمثل جانبا ايجابيا في قدرهم. ولذلك عارض الدعوة الصهيونية على اساس انها ردة رجعية، وخطوة الى الوراء.

غير ان معارضته للفكريات الصهيونية، لم تنصرف ابعد من بعض الملاحظات العامة على ايديولوجيتها، الا انه يتفق معها في المقولات الاساسية:

أ. فهو يؤمن على نحو تام بـ (القدر) الخاص للشعب اليهودي: الذي لا يحمل اوزاره فقط، وانما يحمل اوزار كل الامم، ولذلك فان اليهود بمثابة (المشيحاه) المصلوبين من اجل البشر وهم بمثابة الروح التي توجد في المادة، ولذلك فان نفيهم انما هو تمهيد لخلاص البشر، وهكذا يصبح النفي عقوبة على الذنوب وعلامة من علامات التميز في الوقت ذاته، وحينما يحل اليوم الموعود سيأتي (الماشيح)[1] ويقود شعبه ويعود به الى الارض المقدسة في آخرة الايام.

ب. الرسالة المقدسة[2]

---

[1] الماشيح، مشتقة من الكلمة العبرية (مشح) أي مسح بالزيت المقدس.. تشير الى ملك من نسل داود سيأتي بعد ظهور النبي (الياهو) ليجمع المشتتين ويعود بهم الى فلسطين، ويحطم اعداء (يسرائيل)، ويتخذ (اورشليم) عاصمة له ويعيد بناء الهيكل ويحكم بالشريعة المكتوبة والشفوية، ثم يبدأ الفردوس الذي سيدوم الف عام الخ.. والصهيونية بمعنى من المعاني ماشيحانية .

راجع الموسوعة الصهيونية ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤

[2] اذا كانت (الرسالة المقدسة) احدى اساطير اليهودية السبع، التي يؤمن بها او يلتقي حولها اغلب فلاسفة ومفكري الصهيونية بغض النظر عن صفتهم الايديولوجية او (الدينية)، فان مفكرا صهيونيا مثل (موسى هس ١٨١٢ ــ ١٨٧٥)، لا يرى ضرورة ان تكون لليهود رسالة في هذا الوقت الذي يتعين عليهم التفكير باستيعاب انشاء الدولة والانصراف الكلي الى معالجة واقعهم.

ــ راجع (النصوص الاساسية) ص ٢٨

ان الادعاء الصهيوني بأنهم سينهضون بعبء (رسالة حضارية)، تتمثل في تمدين وتحضير فلسطين، يتطابق تماما مع الفكر العنصري الرأسمالي الاوربي في انقرن التاسع عشر الذي صاغ =

تنبثق الرسالة اليهودية من فكرة (الشعب المقدس) او (الشعب المختار). الذي اصطفاه الله وميزه.. باعتباره امة إلهية، لها سمات خاصة تفضلها عن الامم الاخرى، وانطلاقا من هنا كله، فان الشعب المقدس بصفته مميزا فقد اختاره (الرب) لحمل رسالة مجيدة الى عموم الشعوب والامم.

جـ. الدين القومي / او القومية الدينية Jewish Nationalism

اليهود ينظرون الى انفسهم بصفتهم جماعة دينية وقومية في ذات الوقت، ويعتقدون ان قوميتهم نتيجة لعلاقتهم الخاصة مع (الخالق)، الذي اخرجهم من مصر وقادهم اثناء فرارهم من المصريين، وهو الذي ارسل اليهم الشريعة والتوراة كشعب.

= هذه الفكرة لكي تكون تبريرا ثقافيا لاستعمار الشعوب واستغلالها من قبل الرأسمالية الغربية تحت شعار/ "الاعداد والتمدن" لتصبح في مستوى يسمح لها ان تحكم نفسها. ويشهد على ذلك ما قرره المفكر الصهيوني (موسى هس)" من ان رسالة الامة اليهودية ودولتها في فلسطين هي حماية نقطة التقاطع والالتقاء بين القارات الثلاث".

ويصف هذه الرسالة بقوله:

"وسيعيد رأسمالكم الحياة للأرض القاحلة وسيحول عملكم وجهدكم مرة اخرى التربة القديمة الى وديان مثمرة بعد ان تنقذوا الارض من براثن الرمال الصحراء الممتدة. بعد ذلك سوف يقدم لكم العالم من جديد آيات الولاء والاحترام.

ويؤكد (هرتزل) على الفكرة ذاتها فيقرر:

"وسنكون هناك جزءا من الحاجز الذي يحمي أوربا في آسيا، سنكون ــ مخفرا أماميا ــ للحضارة في وجه الهمجية؟!!. يتوجب علينا كدولة محايدة ان نبقى على اتصال مع كل اوربا التي سيكون عليها ضمان وجودنا".

ويزيد (ماكس نوردو ١٨٤٩ ــ ١٩٢٣) الفكرة وضوحا اضافيا ليقرر:

".. نحن ننوي الذهاب الى فلسطين بمثابة الحملة المعتمدين للمدنية والتحضر، ورسالتنا هي توسيع الحدود الاخلاقية لأوربا؟!! حتى نصل الى الفرات".

راجع السيد يسين: الصهيونية ايديولوجية عنصرية. المؤتمر الفكري الاول حول الصهيونية. بغداد ١٩٧٦ ج١ ص ٨٩ ــ ٩٠.

لذا فاليهودية تنظر الى نفسها كقومية، ولكن قومية/ دينية. وهي بذلك مثل الاديان الوثنية الحلولية، حيث الدين والإله يقتصران على شعب واحد دون غيره من الشعوب.

اليهودية اذن هي دين (قومي)، (عرقي)، او قومية دينية، مقدسة تمزوج بين الوجود التاريخي المتعين والتصور الديني المثالي، ولذلك فهي ديانة لا تعرف الازدواجية، ولا التفريق بين مدينة الله، ومدينة العالم، ولذلك نجد الملكوت السماوي واخرة الايام في اليهودية يكتسبان طابعا قوميا، فهما مرتبطان بمجيء (الماشيح) الذي سيعود بشعبه الى ارض الميعاد.

وظلت القومية اليهودية "امكانية فكرية كافية تعبر عن نفسها بشكل روحي عاطفي لا يتعدى نطاق الصلوات والدعوات، وكل مدرسة صهيونية لها تعريفها المستقل للاساس القومي المشترك بين اليهود.

ـ فالصهاينة الدينيون يؤكدون الوحدة الدينية بين اليهود وانهم "امة مقدسة".

واللادينيون يدعون ان هناك شيئا يسمى "التاريخ اليهودي".

* والقومية الدينية ليست الا احساسا زائفا، لا تسانده اية مقومات موضوعية من قبل الاقليات اليهودية في العالم عبر تاريخها بانتمائها الى دين واحد وعرق واحد.

وان مقولة (الشعب اليهودي) و (القومية اليهودية) هي في حقيقة الامر برنامج اصلاحي مثالي او رؤية للمستقبل وليست وصفا لما هو قائم بالفعل.

٣- يوسف بوبر (١٨٣٨ - ١٩٢١)[١]

ـ ١ ـ

تبدو فلسفته للوهلة الاولى، كما لو كانت دفاعـــا تقدميـا عـن القيـم الانسانية ضد القهر والقمع والفظاظة، ولكنها في حقيقة الامـر لا تتعـدى الدائرة العرقية، فهي دفاع عن اليهود في المجتمعات المسيحية.

ـ ٢ ـ

انتدب نفسه منذ البداية للمطالبة بفكرة قيادم الدولة (القومية) اليهوديـة في فلسطين.

ـ ٣ ـ

.. تمثل دعوته الخروج من الدين وعلى تقاليده صوب الدولة القوميـة، جوهر فلسفته التي انفرد بها واصبحت احدى ابرز اعتماداته الفكرية، فدعا الى اقصاء الدين من الحياة والتربية، لأن التعاليم اللاهوتية حسـب رأيـه ليست الا ترفا فكريا، ووهما من الاوهام العتيقة التي يتعين اقتلاعـها مـن ذاكرة اليهود الثقافية.. بل ان الدين يمثل اكبر الاوهام وشدها خطورة علـى العقل الانساني، والدين بعد ذلك كله يعيق حركة العقل، لأنـه يحـول بيـن المجتمع وبين ادراك الحقيقة.

بسبب ما تتركه تعاليمه البائدة وطقوسه الجافة من اثـار سـيئة علـى الاطفال والشبيبة.

والسؤال الملح الذي يفرض نفسه في هذه القضية هو هل نسي بوبر ان الدين الذي يدعو الى تجاوزه واهمال تعاليمه، واسقاطه من ذاكرة التربيـة والتعليم، هو قوام اليهودية وجوهرها؟!

---

[١] راجع الموسوعة الفلسفية اليهودية (مصدر سابق).

يجيب يوسف بوبر: "لا .. اليهودية ليست دينا .. ان ايماني باليهودية انما يجيء بوصفها ـ قومية[1]؟!!

وهو يؤكد بهذا الفهم (التأويلي)، العقيدة السائدة لدى منظري اليهودية.

فاليهود لا ينظرون الى انفسهم، على انهم جماعة دينية (كما هو الحال في الاسلام)، وانما ينظرون الى انفسهم كجماعة عائلية او ككيان متماسك يسمى: "بنو اسرائيل". يربط رباط روحي هو (التوراة)، بل ورباط (عرقي)، ولغة مشتركة، وادب مشترك، وتقاليد حضارية/ تاريخية مشتركة.

أي انهم جماعة دينية وقومية في ذات الوقت. وهم يعتقدون ان قوميتهم هي نتيجة لعلاقتهم الخاصة مع (الخالق)، الذي اخرجهم من مصر، وقادهم اثناء فرارهم من المصريين، وهو الذي ارسل اليهم الشريعة والتوراة كشعب.

لذا فاليهودية حسب رأي بوبر وفلسفته قومية / دينية، وهي بذلك تشبه الاديان الوثنية الحلولية حيث الدين والاله يقتصران على شعب واحد دون غيره من الشعوب الاخرى.[2]

اليهودية اذن وطبقا لرؤية منظري حركتها:

ـ دين قومي، عرقي..

او قومية دينية مقدسة، تمزج بين الوجود التاريخي المتعين، والتصور الديني المثالي.

ولعل يوسف بوبر احد الفلاسفة الرواد الذين اخرجوا فكرة (القومية اليهودية) من اطارها التوراتي الروحي العاطفي، ودفع بها خارج دائرة الصلوات والدعوات ليجعل منها واحدة من المقولات الايديولوجية الاكثر

---

[1] حول مفهوم (القومية اليهودية) راجع موسوعة المفاهيم الصهيونية ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

[2] راجع المصدر السابق ص ٢٩٩.

الحاحا على الوجدان اليهودي، مع ما تقتضيه وتتطلبه هذه الفكرة من اعتمادات نظرية وفلسفية.

ـ ٤ ـ

وإذا كان الدين قد اصبح عبئا على مهام اعداد وتربية الأجيال اليهودية الصاعدة، فان بوبر زاد على ذلك بأن عد (الدين) معيقا (لعملية التقدم)، التي يسعى اليها لبناء حضارة خالية من الدين ومن قيمة الميتافيزيائية. ذلك ان المجتمع السعيد الذي ينشده الفيلسوف الصهيوني هو(مجتمع مادي)، ذو طابع(عملي)، وظيفته المؤكدة هي توفير الضروريات لعموم مواطنيه.

وقد انشأ بوبر لأجل هذه الغاية كتابه الشهير الذي نشره عام ١٩١٢ بعنوان(واجب توفير الغذاء). الذي عده النقاد اهم مؤلفاته، ومن افضل كتاباته وكان يرمي من وراء نشر هذا النص لفت الانظار ونقل الاهتمام من دائرة التربية الروحية الى الاعداد والتدريب العملي،

ليضع اليهود امام مسؤوليتهم الجديدة بأن يكونوا عمالا في جيش هائل الحجم والعدد، هو جيش توفير الغذاء للجميع. (تأمين الحد الادنى من العيش الكريم لكل فرد، بصرف النظر عن مواهبه ومؤهلاته ويقترح من اجل ضمان الحرية والكرامة لمواطنيه فرضا وطنيا واجبا: اسماه: ــ التجنيد المدني ــ كمقابل للتجنيد العسكري، لتهيئة متطلبات وضروريات الحياة، على ان تكون الخدمة ــ الزامية ــ تشمل عموم افراد المجتمع، ينخرط في صفوفه الرجال والنساء على حد سواء.

اما المدد الزمنية المقترحة للتجنيد المدني فتكون كالآتي :

* (٧) سبع سنوات للنساء.
* (١٢) اثنا عشر سنة للرجال.

* ان يعمل الجميع بمعدل(٣٥) خمسا وثلاثين ساعة في الاسبوع.

ويلزم بوبر ان تنصرف الدولة الى انتاج الضروريات.

اما(الكماليات) فمن اختصاص القطاع الخاص.

وبرغم الدلالات العملية لبرنامجه التنموي ذي الطابع الايديولوجي الا ان العصر اليهودي الجديد الذي يبشر بمقدمه مشروعه (النظري) و(العملي) معا، لا يخرج في جوهره عن دائرة الميثولوجيا التلمودية.

ففي الوقت الذي يظهر فيه الفيلسوف معارضته الشديدة للخدمة العسكرية عما يزيد عن حاجة الدولة في الدفاع عن امنها القومي، وخطره على الفرد حمل السلاح او اشهاره الا في حالة الدفاع عن النفس وحماية الذات،..

ازاء ذلك كله من الموحيات المضللة، فانه لم يشأ معالجة تناقضاته الفكرية الضاجة. من بينها:

دعوته الحارة الى انشاء (وطن قومي لليهود في فلسطين)؟!

ومثل هذه الدعوة لاتحمل في كل الاحوال الا معنى واحدا هو استخدام كل الاساليب والوسائل الذميمة بما في ذلك اسلحة القتل لتنفيذ اقامة الكيان الصهيوني.. فلا يجد يوسف بوبر غضاضة في عملية ازاحة السكان الآمنين اصحاب الوجود التأريخي، واقتلاعهم عنوة من اراضيهم وانتزاع بيوتهم وتجريد وطن من اصحابه ومالكيه الاصليين.

ذلك هو مأزق التناقض بين المظاهر التي لا تجيز العدوان حيث تبدو كما لو كانت حكمة انسانية، تدعو الى المحبة والسلام، فيما تحلل لمجموعة من شذاذ الافاق (اللاشعب) لان يصبح (شعبا سيدا مختارا على شعب فلسطين سيد الارض والتاريخ).

وهو تناقض صريح بين الفكرة والعمل ومفارقة تامة بين القول والفعل. تلك ابرز سمة في عمارة بوبر الفلسفية.

٤ـ اهارون ديفيد جوردون[1] (١٨٥٦ ـ ١٩٢٢)

ـ فيلسوف صهيوني متصوف.

ـ ولد في اوكرانيا، وتلقى تعليما توراتيا في معاهدها الدينية

ـ ينحدر من عائلة اشتهرت بالعلم والتقوى! في قرية زراعية تركت اثرها العميق على وجدانه الديني.

ـ عمل كمحاسب حتى عام ١٩٠٣ .. وفي خلال هذه الفترة تعرف على جماعة(احباء صهيون) واصبح من اتباعها المتحمسين..

ـ هاجر الى فلسطين عام ١٩٠٤، حيث اشتغل بصفة عامل في المستوطنات اليهودية

ـ عرف بمعارضته لعمال صهيون واتحاد العمل

ـ صرف جل اهتمامه الى الجانب النفسي، مركزا على فكرة اقتحام الارض والعمل(أي ان يستولي اليهود على الارض ويقوموا بزراعتها بأنفسهم، فيما يسمى(بالعمل العبري)، كوسيلة للتخلص من آفات المنفى وللولادة الجديدة، وتحويل اليهود الى قطاع اقتصادي منتج.

ـ قامت عقب وفاته حركة كشفية في بولونيا(١٩٢٥) دعيت باسمه (جوردونيا)، وانتشرت في بلدان اخرى، حتى انها عقدت مؤتمرا لها في(١٩٢٨)، وتهدف هذه الحركة الى تثقيف الشباب بالروح الصهيونية

[1] راجع الفكرة الصهيونية ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤

وبتعاليم(جوردون) وتعمل على تحقيق الصهيونية العمالية واهدافها. وقد اقامت العديد من المستوطنات في فلسطين.

ــ كان لتعاليمه ايضا ابعد الاثر على عموم الحركة العمالية بين يهود فلسطين اذ جرى تطبيقها في(الكيبوتزات الاولى) القائمة على اساس تعاوني يعده الجيل اليهودي (الرواد) بمثابة(قديس)؟

ــ جمعت آثار جوردون في عدة مجلدات تضم مقالاته. نشرت في تل ابيب(١٩٢٧ ــ ١٩٣٠) تحت عنوان: (كتبي) منها:

ــ منطق المستقبل (١٩١٠)

ــ الشعب والارض (١٩١١)

ــ بعض الملاحظات (١٩١١)

ــ المهمات التي تنتظرنا (١٩٢٠)

ــ خواطر اخيرة (١٩٢١)

ــ يوم التوبة (١٩٢١)

١ــ وضع (المسألة اليهودية) على رأس اهتماماته، فأولاها جهده وفكره بحثا وتنظيرا، ومعايشة ميدانية على ارض الواقع الفلسطيني والشتات. ويتلخص فهمه الخاص للمسألة بأنها تمثل في حقيقتها النظرية والعملية): (فائضا سكانيا) غير قادر على الاندماج في المجتمعات التي يعيش او يقيم فيها اليهود.. اذن (المسألة) ليست مشكلة الديانة اليهودية، بل انها معضلة الوضع الاقتصادي والاجتماعي لبعض قطاعات اليهود، بعيدا عن انتمائهم الديني، او الحضاري.

وهذا يعني انها مشكلة تنتمي الى البناء التحتي، اكثر من انتمائها الى البناء الفوقي (وان كان لا ينكر اهمية البناء الفوقي او التراث التوراتي المتميز).

فالقضية حسب تصور اهارون تنحصر في ان التركيب الاجتماعي والحضاري لليهود يختلف عنه لدى الشعوب الاخرى، التي يقيمون في ظهرانيها، فاليهود الذين كان محرما عليهم ممارسة مهنة الزراعة كانوا يعيشون اساسا في المدن، واما العمال منهم، فهم لا يكونون (بروليتاريا صناعية) وانما ينتمون الى قطاع البروليتاريا الرثة، فمن حرم عليهم ممارسة الكثير من الحرف والاعمال.

اما اثرياؤهم فيمتهنون التجارة والصيرفة والربا.. او بعض الصناعات الاستهلاكية، وقد نتج عن هذا الوضع الاقتصادي امران:

اولهما: ان عموم الطبقات اليهودية في المجتمع، رأسماليين كانوا ام شغيلة، كانت تشكل وحدة متميزة، مرفوضة من بقية المجتمع، بسبب هامشيتها اولا وتراثها الفكري والديني من جهة ثانية.

ثانيهما: اصابة (الشخصية اليهودية) بالذبول والطفيلية جراء فقدان علاقتها بالارض الزراعية، وبأي عمل منتج.

وقد ازداد هذا الوضع السلبي حدة وتفاقما اثر ظهور طبقة رأسمالية محلية في (روسيا وبولندا) تنافس الرأسماليين اليهود، وترفض استئجار العمال اليهود بسبب نزعتهم الدينية المتطرفة.

ولأن العامل اليهودي في معظم الاحيان كان يفتقر (الخبرة) المطلوبة .

فقد راحت الرأسمالية المحلية الجديدة تؤلب الجماهير المسيحية المستغلة ضد كل من الرأسماليين والعمال اليهود فتناصبهم العداء تضليلا للجماهير عن معرفة مستغليها الحقيقيين.

٢ــ ولعل تحليلات أهارون لأوضاع اليهود بعد سقوط (الجيتو) وزوال أشكاله التقليدية، فيها كثير من الجدة والصدق والواقعية، ولمحاولة لحل

مشكلة يهود شرقي أوربا، طرحت الصهيونية العمالية التي ينتمـــي إليـــها أهارون ثلاثة حلول يمكن إيجازها بالآتي [1]

أ ــ الحل الاندماجي [2] الاشتراكي الرافض لأي حلول (عرقيـــة)، وقـد تبنى هذا الحل المثقفون والعمال اليهود الذين انضموا للأحزاب الثورية .

ب ــ الحل (الدياسبوري [3] الاشتراكي) ممثلا في حزب (البوند) [4] .

---

[1] راجع المسيري ــ موسوعة المفاهيم الصهيونية ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤

[2] الاندماج Assimilation

طالبت الثورة البرجوازية اليهود أن يتخلوا عن هويتهم شبه القومية الإقطاعية وأن يكتسبوا هويـة عصرية، أو كما قال أحد دعاة الثورة الفرنسية في ١٧٨٩ " إننا نرفض أن نمنح اليهود كأمـــة أي شيء، أما اليهود كأفراد فإننا نمنحهم كل شيء "

وقد استجاب اليهود لهذا النداء، ولهذا التيار التاريخي، فقامت بينهم (حركة الاستنارة اليهوديـــة) الداعية للاندماج، كما بدأ مذهب (اليهودية الإصلاحية) التي حاولت فصل الجانب شبه القومي فــي اليهودية عن الجانب الديني الروحي، والإبقاء على الجانب الأخير وحده حتى يتحقـــق للمواطـــن اليهودي الانتماء القومي الكامل، والاندماج السوي .

وقد حقق اليهود بالفعل قدرا كبيرا من الاندماج في فرنسا وبريطانيا (دون أن يفقدوا ما يمـــيزهم كيهود) .

أما محاولات الاندماج الأخرى في بلدان شرق أوربا فقد اتسمت بالبطء والتعثر بســـبب ظـــهور القوميات الأوتوقراطية فيها، وبسبب سرعة معدل تطور الرأسماليات المحلية، الأمر الذي لم يتـــح فرصة التأقلم والتكيف لليهود المرتبطين بأشكال إنتاجية إقطاعية . إلى جانب أن يهود شرق أوربا يوصفون بأنهم من أكثر القطاعات الإنسانية تخلفا وغيبية، مما أعاق استجابتهم في معظم الأحيـــان للوضع الجديد .

راجع المصدر السابق ص ٨٨

[3] الدياسبورا:Diaspora كلمة يونانية تعني (التشتت)، وتستخدم للاشارة للأقليات اليهودية في العالم الموجودة في (المنفى)، حسب التصور اليهودي / الصهيوني.

موسوعة المفاهيم (مرجع سابق) ص ١٩١.

[4] البوند Bund ــ كلمة بديشية تعني : اتحاد وهي اختصار : (للاتحاد العام للعمال اليـــهود فـــي روسيا وبولندا وليتوانيا) =

ج ـ الحل الصهيوني العمالي [1]

وتشترك الحلول الصهيونية العمالية الثلاثة في الأيمان بأن ليس ثمة من حل واقعي لمشكلة اليهود إلا عن طريق (استيطان) فلسطين بطريقة جماعية، وإقامة (دولة) صهيونية تحت قيادة العمال !

٣ــ .. ماذا بوسع فيلسوف، متصوف تستغرقه الأفكار والتأملات ان يتولى او يختار من مهام او ادوار في اواخر القرن التاسع عشر؟! وكيف يتسنى لمثل هذا المتأمل الصوفي التخلي عن عزلته لينزل الى العالم؟!..

.. اهارون يختار (العمل) ليشارك في صنع (الواقع الصهيوني)، فيحول رؤاه الدينية الاشتراكية الى (حركة) فينهض بدوره داخل منظومة (احباء صهيون)، فيبرز بعد حسين من انضمامه الى الحركة، ليظهر في طليعة

= وهو أحد التنظيميات اليهودية الاشتراكية، وقد تأسس عام ١٨٩٧ . والملاحظ أن لم يكن للبوند في سنواته الأولى برنامج واضح فقد كان يهدف لأن يكون تنظيما للبروليتاريا اليهودية للدفاع عن مصالحها السياسية والأقتصادية، لأن العامل اليهودي حسب تصور البوند لم يكن يعاني من وضعه كعامل فقط بل من وضعه كيهودي أيضا ولهذا أكد الحزب التزامه بالماركسية، واهتمامه بالمصالح المحددة الخاصة باليهود، وأنضم إلى الحزب الديمقراطي الاشتراكي الروسي عام ١٨٩٨ مما ألب ضده النظام الروسي، فقامت السلطات الروسية بإعدام وسجن ونفي الكثيرين من أعضائه، ورغم ذلك فقد بقي البوند وتكثفت نشاطاته عقب ثورة ١٩٠٥ في روسيا .

وظهرت أحزاب بوند أخرى في رومانيا وبريطانيا، وأمريكا . وقد أقترح البوند في مؤتمر الحزب الاشتراكي الروسي عام ١٩٠٣ الاعتراف بالقومية اليهودية والمطالبة بالاستقلال الذاتي لليهود داخل روسيا، وأدى رفض الاقتراح إلى انسحاب البوند من المؤتمر ولكن بعد نجاح الثورة الوفياتية عام ١٩١٧ اندمج بوند روسيا في الحزب الشيوعي .

راجع موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١١٣ .

[1] الحل الصهيوني العمالي، ينطلق من الصهيونية العمالية التي تنظر إلى (المسألة اليهودية) نظرة اقتصادية وليست بصفتها مشكلة دينية، بل هي على وجه التحديد (مشكلة فائض سكاني يهودي غير قادر على الاندماج . وهذا يعني أنها تنتمي إلى البناء التحتي أكثر من صلتها بالبناء الفوقي .

راجع موسوعة المفاهيم الصهيونية ص ٢٥٣ .

قيادتها في روسيا.. بل يعد شاهدا للسببية الرئيسية التي ادت الى انبثاق فكرة (الاحباء الصهاينة).. بعد ان عاش وعانى الآلام اليهودية، عقب صدور (قوانين ايار)[1]، حيث فرضت القيصرية الروسية قيودا على حركة اعضاء الاقلية اليهودية بين عامي (١٨٨١ ــ ١٨٨٣)، مما دفع مجموعة من الشباب اليهودي الى تأسيس (احباء صهيون)، في ذات الوقت الذي لم تبد فيه الحكومة القيصرية أيما معارضة حيال الهجرة اليهودية، بل عملت على دعمها في بعض الاحيان.

٤ــ مؤلفاته:

أ ــ منطق للمستقبل (١٩١٠)[2] دعوة الى يهود العالم للخروج من خبائهم وعزلتهم والعودة الى الطبيعة لتجديد العزم والدخول في تجربة الحياة عن طريق الاستعداد والخلق، فليس ثمة حياة جاهزة الصنع، فالاستعداد هو الحياة ذاتها.

ب ــ الشعب والعمل (١٩١١) (١)[3]

".. خلال الالفي سنة الاخيرة كان الشعب اليهودي معزولا عن الطبيعة مسجونا داخل اسوار المدينة، لقد اعتمدنا كل اشكال الحياة ماعدا حياة العمل ــ وسيحتاج هذا الشعب لأعظم الجهود من اجل ان يستعيد وصفه الطبيعي مرة اخرى. ينقصنا (عنصر الحياة القومية)، كما تنقصنا (عادة العمل).

---

[1] قوانين ايار Maylaws. قوانين اصدرتها الحكومة الروسية عام ١٨٨٢ وبمقتضاها صار من المحظور على اليهود ان يعيشوا او يمتلكوا عقارا الا في المدن الموجودة داخل منطقة الاستيطان اليهودي في روسيا.

راجع: موسوعة المفاهيم ص ٢٩٥ .

[2] راجع جوردون (النصوص الاساسية) ــ الفكرة الصهيونية ص ٢٥٥.

[3] راجع جوردن. النصوص الاساسية ص ٢٥٥ ــ ٢٦٧.

عم نبحث في فلسطين؟!، اليس عن الشيء الذي لا نستطيع ابدا ان نجده في أي مكان آخر ـ ما نريد خلقه في الوقت الحاضر معتقدات وايديولوجيات وفنا وشعرا، واخلاقا ودينا.. وبذلك نكون قد خلقنا علاقات انسانية ـ صحية وصلات حيوية تربط الحاضر بالماضي ما نريد ان نخلقه هو (الحياة) ـ حياتنا نحن ـ نحن وبطريقتنا الخاصة، وبصراحة متناهية يجب ان نعمل بأيدينا في فلسطين كل الاشياء التي تشكل مجموع الحياة يجب ان نقوم بكل العمل بأنفسنا نحن.

جـ بعض الملاحظات (١٩١١)[1] يجب علينا ان نختار احدى طريقتين في فلسطين.

الاولى: طريقة دنيوية عملية والاخرى هي طريق البعث القومي الصحيح.

الاولى: تعني استمرار حياة المنفى بكل أفكارها قصيرة النظر .

أما الثانية : فهي طريق الحياة الصحيحة ذات المعنى والتي نبحث عنها في فلسطين .

فليختر كل فرد الطريقة التي يريد، وقبل أن يفعل ذلك عليه أن يعرف أن اختيار واحدة منهما يعني إقصاء الأخرى للأبد .

المنفى هو المنفى وهو في فلسطين لا يختلف عنه في غيرها .

وعلى كل من يريد (البعث القومي) والحياة اليهودية التامة أن يتخلى عن حياة المنفى ذلك هو الثمن الذي سيدفعه، ولكنه ليس باهظا على كل حال .

د ـ المهمات التي تنتظرنا (١٩٢٠)[1]

١راجع جوردن. النصوص الاساسية ص ٢٥٥ ـ ٢٦٧.

٢راجع جوردن. النصوص الاساسية ص ٢٥٥ ـ ٢٦٧.

"ـ ما هي القوة الغريبة المستمرة في اندفاعنا والتـــي لا تمـوت ولا تدعنا نحن نموت ؟!

الجواب : هو أن هناك قوة أساسية داخل كل منا تناضل من أجل بقائها، وتحاول أن تحقق ذاتها . هذه القوة هي انتماؤنا (العرقـــي) إنـــها العمـــل الكوني إذا أساسية داخل كل منا تناضل من بقائها، وتحاول ان تحقق ذاتها. هذه القوة هي انتماؤنا (العرقي)، انها العامل الكوني، اذا اضفنا اليه العـامل التاريخي، يشكل احد العناصر الرئيسية في شخصية كل واحد منا، وانتماؤنا العرقي هذا يمكن وصفه بأنه (نموذج قومي) فريـــد مـــن القـــوى العقليـــة والجسدية، انها كالسلم الموسيقي الذي يستخدمه كل مؤلف حسبما يشـــاء، الحياة في الشتات ينقصها كل هذا.

إننا نريد الحياة لا اكثر ولا اقل (حياتنا نحن) في حقول وطننا القومي، .. اننا نقوم بعمل خلاق لا مثيل له في التأريخ، وهذا العمل هـــو (بعـــث شعب)، واعادة اسكانه بعد ان اقتلع وتفرع واندثر في مهب الرياح.

اما مركز عملنا القومي وقلب شعبنا فهو هنا في فلسطين، فمع اننا اقلية ضئيلة، ولكن ينبوع حياتنا هنا، هنا في هذه البقعة المركزية، تختبئ قوتنـــا الحيوية، لقد اصبح لزاما علينا ان نركز كل قوانا وكل تفكيرنا وعقلنا وقلبنا على هذه النقطة المركزية وان لا ندع افكارنا تبتعد عنها ولو للحظة واحدة.

٥- زنيف (١٨٤٧ - ١٩٢٤)[1]

ـ ولد في بولندا عام ١٨٤٧.

ـ فيلسوف ديني صهيوني، الى جوار اهتماماته بالتاريخ والادب وكتابة القصة.

ـ عاش في فلسطين عشر سنوات (١٨٨٨ ـ ١٨٩٨).

ـ عمل مدرسا، حاخاما، صحفيا ثم مفكرا ومتفلسفا متأملا.

ـ آثر العبرية في كتاباته، .. وصدرت له عدة مقالات ودراسات معبـــأة بوجهة نظر صهيونية بالغة التطرف، شديدة الاسراف في التفسير والتأويل، عبر في اغلبها عن (الحلم التلمودي) الذي يعصف الحنين بـــه الـــى (ارض الميعاد).

ـ احتفظت انشاءاته الادبية والفلسفية، بإيقاعها الرومانسي الـــذي لـــم ينفك عن الدوران حول الاستيطان في فلسطين.

١ـــ ندب نفسه لترويج الرؤى التلمودية بين الصبية والشبيبة اليهودية، فتولى مهام نشر الوعي الثقافي، في صفوف الاجيال الجديـــدة الصـــاعدة، واستخدم اسلوبه الادبي في اذكاء (الروح العرقية)، قصد ايصـــال التعبئـــة النفسية لدى التلاميذ والطلبة الى حدودها القصوى، للمضي قدما تجاه القيم والاهداف الصهيونية،

.. فألف ونشر عدة روايات وقصص اعدها لهذا الغرض منها:

ـ الربيع في ارض اسرائيل.

ـ انغام من الميلاد.

ـ اساطير من ايام تخريب الهيكل.

---

[1] راجع الموسوعة الفلسفية اليهودية (مصدر سابق).

وقد ادخلت المجموعة الاخيرة ضمن المقررات الدراسية في المرحلة الابتدائية.

٢ــ من جهة اخرى واصل زئيف جهده المعرفي في اعداد وتأليف موسوعة التاريخ اليهودي التي تقع في (١٣) ثلاثة عشر مجلدا.

غير ان القراءة النقدية لهذا العمل الكبير من قبل ذوي الرأي والاختصاص، كانت مخيبة لآمال الاديب المتفلسف، اذ خرج هؤلاء بعد قراءة نصوص المجلدات الثلاثة عشر، بنتيجة سلبية تماما. فالموسوعة بكاملها لا تمت الى البحث التاريخي بأدنى صلة منهجية، او موضوعية فهي ليست اكثر من محاولة متواضعة، ذات اهداف وغايات جرى اعدادها سلفا، لإظهار تميز الدين والثقافة اليهوديتين، والايحاء بأن التقاليد الدينية التوراتية تمتد الى جذور التراث الانساني كله.

وطبقا لنتائج التقويم العلمي، فقد عدت كتابات زئيف التاريخية غير ذات قيمة في سوق الفكر اليهودي، مما اضطره الى مغادرة فلسطين، والهجرة الى (النمسا). حيث اصبح فيما بعد عضوا فعالا في المنظمة الصهيونية في (فينا).

٣ــ وصف الصهاينة مساهمة زئيف في تأسيس حركة (المزراحي)[1]، بالمساهمة العملية الكبرى، حيث اصبحت الحركة فيما بعد واحدة من اكبر الاحزاب الدينية في (اسرائيل)، والذي برز كحركة مستقلة داخل المنظمة الصهيونية منذ عام ١٩٠٢.

واتخذ شعار: (ارض اسرائيل لشعب اسرائيل وفقا لتوراة اسرائيل)!..

---

[1] المزراحي: اختصار عبارة (مركز روحي) العبريه، وهي تعني بالعربية المركز الروحي ايضا. راجع الموسوعة المفاهيم الصهيونية ص ٢٦١ ــ ٢٦٢.

.. وصار حزبا سياسيا بين يهود فلسطين عام ١٩١٨، وينتمي معظم اعضائه الى الطبقة الوسطى، وسكان المناطق الصناعية من اليهود الارثوذكس الذين ينفرون من اليهودية الاصلاحية[١] ويعد اعضاؤه انفسهم. اقل تطرفا ومغالاة في المسائل الدينية، واكثر تقبلا لمنطق المساومة من (اجودات اسرائيل)[٢]، ولكن مع كل هذا فان (المزارحي) يدعو الى حكم نابع من التراث اليهودي والى ضرورة ان ترتكز الثقافة الاسرائيلية على الدين والتقاليد التوراتية الموروثة، وقد تمكن هذا الحزب من الاشتراك في اغلب الحكومات الائتلافية منذ قيام (اسرائيل)، وذلك بسبب شعاراته الدينية ذات الطابع الليبرالي نسبيا.

والواقع ان المزارحي لا يملك برنامجا اجتماعيا واضح المعالم، ولا يبدي الا اهتماما نسبيا بالمسائل المتعلقة بالتنمية الاقتصادية والتصنيع والتوسع الزراعي. وان كان يؤيد نظام الزراعة الفردية القائمة على جهود مزارعي الطبقة المتوسطة بدلا من التعاونيات، كما يعارض المركز الذي يتمتع به (الهستدروت) في (اسرائيل)، والنفوذ الذي يمارسه، وهذه هي اهم نقاط

---

[١] يمكن اعتبار مذهب اليهود الاصلاحية ثمرة مباشرة لحركة (الاستنارة اليهودية) ولفكر (مندلسون) على وجه الخصوص، الذي يعبر عن تيار عقلاني تاريخي نسبي، يحاول التعبير عن رغبة (اليهودي) في تقبل حدوده التاريخية المتعينة. وهي رغبة افصحت عن نفسها في استبعاد العناصر (القومية) الموجودة في الدين اليهودي والتي تؤكد انعزالية اليهود عن الامم الاخرى راجع (التفاصيل) – موسوعة المفاهيم الصهيونية ص ٤٥٢ – ٤٥٣.

[٢] عبارة عبرية تعني: (وحدة اسرائيل)، وهو حزب ديني متقل بالتقليدية يعود تاريخه الى عام ١٩١٢ تأسس في (بولونيا) لمواجهة الحركة العلمانية التي سادت بين يهود اوربا الشرقية والوسطى حينئذ. والحزب لا يعترف الا بسيادة (التوراة) وحدها، وقد عقد اول مؤتمر له عام ١٩٢٣، واتفق فيه – الحاخامات – على ضرورة حل مشكلات اليهود وفقا لتعاليم التوراة ومبادئها يتركز نشاط الحزب بالدرجة الاولى على بناء المدارس اليهودية الارثوذكسية ومدارس التلمود ويمتلك مشروعات اقتصادية عديدة في (اسرائيل) لتسولها الوكالة اليهودية. كما يشرف على بعض المزارع التعاونية. المصدر السابق ص ٥٨.

اختلافه مع (الماباي)، وعلى الرغم من الخلافات القائمة بين الحزبيـــن الا انهما يتعاونان في الائتلاف الوزارية، مقابل حصول المزراحي على تنازلات في المسائل الدينية، كالتساهل إزاء النساء الارثوذكسيات في مسألة الخدمة العسكرية وتامين دعم الدولة الصهيونية للمدارس الدينية[١].

٦ـ أحد هعام (١٨٥٦ - ١٩٢٧)[٢].

- أحد هعام: اسم رمزي يعني (واحد من الشعب)، اتخـــذه (اشـــربن غنزبرغ)، منذ ان نشر اولى مقالاته في مجلة هـــاميليتز ١٨٨٩ بعنـــوان: (ليس هذا هو الطريق).

- ولد في (سكفيرا) – اوكرانيا.. في عائلة تنتمي إلـــى ارســـتقراطية الحي اليهودي.

- درس على الطريقة اليهودية التي تتشدد في التقوى، حتى ان معلمه منع من تلقينه الابجدية الروسية خوفا من الهرطقة. ولم يلبـــث ان ثقـــف نفسه، وتعلم القراءة الروسية حتى غدا في صباه من علماء التلمود وادابـــه البارزين.. وعكف على مطالعة اثار كبار الفلاسفة اليـــهود فـــي القـــرون الوسطى بصفة خاصة: (موسى بن ميمون) الى جـــوار دراســـته لحركـــة التنوير وتعرفه على افكارها، فانطلق الى افاق اوسع في دراســـته لـــلادب والفلسفة في الروسية والالمانية.

١ – حاول ان ينهض بمهام الاسئلة الكبرى[٣]، بحثا عن نقطـــة البدايـــة، وآلية العمل، صوب الحلم الصهيوني ومصير الشعب؟!

---

[١] المصدر السابق ص ٣٦٢.

[٢] راجع ترجمته وسيرته الشخصية – موسوعة المفاهيم الصهيونيـــة ص ٥٨ ايضـــا – الفكـــرة الصهيونية ص ١٤١.

[٣] راجع احد هعام – النصوص الاساسية، ص ١٤٢ – ١٧٠.

.. لم تؤرقه (رؤيا) الدولة الغائبة، مثلما ارقته الاجيال اليهودية التي لم تتعرف على هويتها بعد!

.. وقد عد تحقيق (اسرائيل)، مرتبطا بالحتم والضرورة بـ(قانون الحركة)، وان هذه الحركة تخضع لمقدمات تكوينية في الوجدان اليهودي.

من اين نبدأ؟!.

هذا هو السؤال الاعظم في برنامج هعام

ان الاجابة الواقعية التي بحث وفتش عنها طويلا، كانت تختبئ وراء السر العميق الذي كشف عنه وهو: (الطفل اليهودي)؟!

هو لا غيره حقيقة الحقائق، بوصفه نقطة الانشاء الاولى، ومقدمة التكوين المستقبلي للمشروع الصهيوني، فالطفل وحده السؤال والجواب معا!.

لم يعد الطفل (ابن) ابويه او ملكا لهما يوجهانه وينشآنه كيفما يشاءان او يريدان.. بل هو عقل وقلب المسألة اليهودية منذ الان، وليس مسموحا في أي حال، ان ندع الطفولة اليهودية تنمو او تتشكل طبقا لاختيارات عائلية حرة، او نجعلها بين يدي القدريات البيئية، الاجتماعية المتنافرة المتباينة على خارطة العالم.

بل يتحتم علينا تحديد البداية الصحيحة، والخطوات اللاحقة بموجب الغاية التي نناضل من اجل بلوغها.. لاننا نريد اطفالا يهودا يجمعون على (مبدأ واحد)، ويمنحون ولاءهم لـ(جوهر) الوجود اليهودي.. وان نشيد عقولهم بالطريقة المعدة سلفا.

من اجل ذلك دعا هعام إلى (مشروع التربية) الموجهة المخطط لها مسبقا، طبقا للاهداف والغايات المحددة التي نسعى إلى انجازها، من خلال سلسة متصلة من الاجراءات النظرية والعملية معا، التي تؤمن للطفل

الاعداد المتقن نفسيا، روحيا، اخلاقيا، استنادا للنصوص التلمودية التي يلزم استذكارها لفظا ومعنى لمدة سبع ساعات يوميا، طوال سبع سنين.. حيث تتواصل معايشته التربوية البصرية والسمعية والادراكية للجمارة[1] والمشناة[2]. وبموجب نصوص هذين الكتابين المقدسين يصبح

---

[1] الجمارة: كلمة ارامية تعني: (الاكمال) او (دراسة) وهي عبارة عن التعليقات والشروح والتفسيرات التي وضعها على (المشناة) الحاخامات، وتعد الجاماراه جزءا من الشريعة الشفوية. وثمة جماراتان واحدة فلسطينية والاخرى بابلية، وان الاخيرة اشمل واكمل من الفلسطينية موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١٥١.

[2] المشناة: كتاب يتضمن مجموعة من الشرائع اليهودية التي جمعها (معلمو الشريعة) على مدى ستة اجيال (١٠ – ٢٢٠م) وتعد المشناة من مصادر الشريعة الاساسية، وتاتي في المقام الثاني بعد العهد القديم الذي تطلق عليه لفظه (المقرأ) من (قرأ) أي (قرأ) باعتبار ان العهد القديم هو الشريعة المكتوبة التي نقرأ اما المشناة فهي الشريعة الشفوية التي تتناقلها الالسن فهي (تكرار) شفوي الشريعة موسى، لابد من دراسته مع توضيح وتفسير ما التبس منها.

وقد دونت المشناة كنتيجة لتراكم فتاوى الفقهاء اليهود بحيث اصبح من المستحيل استظهارها، فبدأ تصنيفها على يد الحاخام (هليل) وبعده الحاخام (عقيبا) ثم (مائير).

اما الذي سجلها كتابة في وضعها الحالي فهو الحاخام (يهودا هاناش ١٨٩م).

والمشناة مشتركة بين التلمودين الفلسطيني والبابلي.

ولغتها العبرية الجديدة.

وتنقسم المشناة إلى ستة اقسام:

-كتاب (زراعيم) أي البذر او الانتاج الزراعي.

- كتاب (موعد) أي العيد ويعنى بالاعياد والسبت والاحكام الخاصة بها.
- كتاب (ناشيم) أي (النساء) يتناول نظم الزواج والاحكام الخاصة.
- كتاب (نزيقين) أي الاضرار.
- كتاب (قد اشيم) أي المقدسات.
- كتاب (طهاروت) او الطهارة.

وهذه الكتب الستة تسمى (السداريم) جمع (سدرة).

– راجع المسيري. موسوعة المفاهيم الصهيونية ص ٣٦٥– ٣٦٦

الطفل (فردا واعيا) للمعنى الاخلاقي الـــذي تمثلـــه او توحـــي بـــه (ارض الميعاد).

وعلى هذا النحو عد الفيلسوف الصهيوني موضوع الاعـــداد الـــتربوي للاطفال اليهود، بمثابة المقدمة الضرورية، والاسبقية الاولـــى علـــى ايـــة ترتيبات اخرى، حتى انه عارض فكرة (الهجرة) إلى فلسطين، ما لـــم يتـــم تأهيل روحي مسبق لمواطني الدولة المنتظرة، ذلك ان الـــهدف الاول فـــي رأيه الذي يسعى نحوه واليه العقل اليهودي ليـــس مجـــرد (وطـــن) يضـــم (الشتات) او يجمع المتناثرين من ارجاء العالم اليه، وانما هو فـــي المقـــام الاول: انشاء وطن يكون ملهما ليهود العالم من اجل (الوحدة)، للمحافظـــة على جوهرهم بوصفهم (شعب الله المختار)، الذي اختص برســـالة مجيـــدة ذات مضامين اخلاقية.

ومن اجل الارتقاء بهؤلاء الاطفال ليصبحـــوا (خمـــيرة) عقـــل الدولـــة وذراعها في المستقبل القريب ولكي تكون (اسرائيل) مركزا ثقافيا ومصـــدر اشعاع يجتذب اليه يهود الشتات في كل مكان، لابد ان نجد الاليـــة العمليـــة الرصينة والمضمونة التي تستجيب لتحقيق تطلعاتنا وآمالنا، قـــادرة علـــى تحويل الافكار والرؤى والاهداف إلى واقع على الارض. ولغرض انجاز هذه المهمة الكبرى بادر (هعام) إلى تأسيس (جمعية بني موســـى)[1] Bene Moses

---

[1] جمعية صهيونية سرية لم يتعد عدد اعضائها مئة شخص. اسسها أحد هعام داخل جماعة احبـــاء صهيون عام ١٨٨٩ نتيجة الاحساس السائد بان القيادات اليهودية كانت تهمل التعليم الشعبي، وفـــي عام ١٨٩٧ انحلت الجمعية بعد تأسيس الحركة الصهيونية، وقد اسست الجمعية مـــدارس لتعليـــم العبرية ودارا للنشر في وارشو.

موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١٠٨.

عام ١٨٨٩ داخل جماعة (احباء صهيون)[1]، لتتولى تنفيذ برامجه التربوية، ومنح التوجيه الثقافي اللازم لتحقيق المرامي الآتية:

- نشر المثل القومية اليهودية.
- بعث الاحساس بمعنى الامة.
- ادارك اهداف الرسالة المجيدة التي يتعين علـــى اليـــهودي حملها في العالم.

٢- يمضي أحد هعام في مشروعه ويواصل رسالته،.. ان الصلاة وحدها لا يمكن ان تحقق املا او تشيد (وطنا).. اننا بحاجة إلى اشاعة الثقافة بيـن صفوف الشعب.. لنتذكر الطريقة التي استعملها اسلافنا في الايام الغـــابرة، التي ندين لها ببقائنا، وهي ان نحول (الكنيس) نفسه إلى مركز دراسة على ان يكون التركيز الاول فيه على التعاليم اليهوديـــة.. وان يـــاتي الاهتمـــام بالصلاة في الدرجة الثانية، اختصر الصلوات كمـــا تريـــد، ولكـــن اجعـــل (كنيسك) منهلا للمعرفة اليهودية، يأخذها فيه الصغار والكبـــار المثقفـــون والعاديون على حد سواء.

يجب ان تقوم عظات ايام السبت والاعياد على تعليم التـــوراة لا علـــى قراءة المقاطع الدينية فقط. لكن العظات التعليمية لا تكفي وحدها، يجـب ان يكون (الكنيس) مركزا ياتي اليه كل من يريد المعرفة كل يوم. كذلك يجـــب تنظيم (قراءات) كل ليلة للمثقفين تتناول موضوعات يهودية مختلفـــة تعـــد للفئات المثقفة تثقيفا عاليا، ولتلك الشرائح التي ثقافتها من مستوى اقل، كل منها على حدة.

---

[1] احباء صهيون جمعيات صهيونية نشأت قبل تأسيس المنظمة الصهيونية العالميـــة فـــي نهايـــة سبعينات القرن التاسع عشر. وقد عقد اول مؤتمر لها عام ١٨٨٤. عنيت بالنشـــاط الاســـتيطاني عموما.

موسوعة المفاهيم (مصدر سابق) ص ٥٩.

هذا ما كان يقوم به احد اجدادنا نعم لابد من تطوير روح التعليم، ولكن الاسلوب يبقى، لان ليس افضل منه.

كانوا في الايام القديمة يقرأون من (عين يعقوب)[1]، مع تعليقات (راشي)[2]، او من (منارة هماور)[3] للبسطاء من الناس. ويقرأون (التوراة) للمتقدمين منهم في العلوم.

اما في ايامنا هذه فيجب ان ندخل التعديلات لكي تصبح القراءات ملائمة لمطاليب الحياة المتقدمة. ولكن المهم ان نتعلم العلم، ودائما العلم، هو سر البقاء اليهودي.

٣- اختار عام ١٩٢٣ الهجرة إلى فلسطين، وهو يترقب قيام المدينة التوراتية الفاضلة في (ارض الوعد الالهي) ورغم انه لم يعش لحظة تحقق احلامه الفردوسية، فقد توفي عقب وصوله (تل ابيب) باربع سنوات (١٩٢٧)، الا انه كرس ايامها ولياليها بالبحث والمكالمة والتأليف باحثا عن الطريق الافضل الذي يمكن من خلاله تحقيق وحدة اليهود المبعثرين في جهات الارض الاربع، ليضع خطوتهم (العملية) وراء الحلم التلمودي

---

[1] عين يعقوب (بير يعقوب)، قيل: افضل ما كتب عن التلمود، وهو مجموعة من المقطوعات الاخلاقية، التاريخية الشعبية، مأخوذة من التلمود، وقد جمعت في اواخر القرن الخامس عشر، من قبل احد المهاجرين من اسبانيا، وهو الحاخام يعقوب بن سليمان بن حبيب.

- الفكرة الصهيونية – النصوص الاساسية. هامش ص ١٥٣.

[2] (راشي)، هو اختصار لاسم الحاخام سليمان ابن اسحق (١٠٤٠ – ١١٠٥)، يعد من اشهر المعلقين والمفسرين للتلمود.

ولد في فرنسا، حيث اشتغل بتجارة الخمور، وكان رئيسا لاحدى المدارس الدينية. وقد كتب راشي شروحه باسلوب واضح سلس، مما جعل التلمود كتابا يسهل فهمه على القارىء.

موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١٩٥.

[3] مناورة هماور (منارة النور) كتبها اسحق ابواب، الذي عاش في اسبانيا في القرن الخامس عشر، كان المقصود منها ان تكون مرجعا اخلاقيا.

- الفكرة الصهيونية. النصوص الاساسية هامش ص ١٥٣.

وهو بهذا المنطق انما يوثق علاقة (الفكر) بـ(العمل) بعد ان شارك بدور جدي في مجمل الانشطة والاحداث التي ادت إلى اصدار (وعد بلفور)[1].

٤- ضغط أحد هعام الفلسفة ضغطا سياسيا، ليكرس مقولاتها في خدمة (الايديولوجيا)، وعلى النحو الاتي:

- في صهيونيته الثقافية يستمد الكثير من اراء المفكر الالماني (هيردر)، بصفة خاصة في موضوعي الثقافة الشعبية والادب الشعبي.

- تأثره الواضح بـ(نيتشه) و(داروين) فمن الاول استجد فكرة (السوبرمان) Superman، فقال بـ(الشعب المتميز) و(الامة المتفوقة).

- وعن (داروين)، استثمر نظريته (البقاء للأصلح) وهو المعنى التوراتي الذي كرس اسطورة (الشعب المختار).

- تعكس افكاره الفلسفية بشأن العلم، تاثير التجريبيين الانكليز امثال (جون لوك) و(دافيد هيوم).

- تأثر باحد الفلاسفة الوضعيين الروس، وفقد ايمانه الديني، حتى عرف بـ(الحاخام اللا ادري)!

٧ـ صموئيل حاييم لانداو (١٨٩٢ ـ ١٩٢٨)[2]

- زعيم صهيوني.
- فيلسوف ديني.
- ولد في بولونيا، وحل في فلسطين ١٩٢٥.
- ينحدر من اسرة حصيدية اشتهرت بشدة التدين والتمسك بالتقاليد اليهودية.

---

[1] راجع الفكرة الصهيونية ص ١٤٢.

[2] راجع موسوعة المفاهيم الصهيونية ص ٢٣٠ – ٢٣١.

- اجتذبته الصهيونية منذ صباه، وظل وفيا لاهدافها، فوصل إلى مركز قيادي رفيع المستوى داخل الحركة.

- ومنذ مطلع العشرينات اخذ يضاعف نشاطه دونما كلل في سبيل تنظيم الجناح العمالي لحركة (مزراحي).. واذا كانت المرحلة الاولى من حياته قد اتسمت بطابع عملي في ميدان توطيد اسس الصهيونية في اوساط اليهود عبر نشاطاته الواسعة، في الاعداد والتنظيم وجمع وقيادة جمع الاموال داخل بولونيا، فانه جاء الى فلسطين لنفس الغرض، من اجل تمهيد الطريق امام المشروع الصهيوني، فتابع نشاطه، وواصل عمله في خدمة الاهداف السياسية للحركة.

- لعل الدور الايديولوجي البارز الذ اضطلع به لانداو، عقب انضمامه الى حركة مزراحي اثر انتهاء الحرب الكونية الاولى، وبعد ان اصبح الناطق السياسي البارز بلسان الفئات الشابة داخل الحركة – هو نداءاته التعبوية المتواصلة التي راح ينشرها ويبثها بين الشبيبة اليهودية في العالم، محاولا استنهاض الهمم وتحريك العقول والنفوس في سبيل الريادة الصهيونية، والهجرة الى فلسطين، وهو يسعى في كل نداءاته ورسائله، اظهار مثيرات الحماسة العاطفية لارض الوعد الالهي، ومحاولة اضفاء اللون الاشتراكي على صهيونيته الدينية!

- قضى السنوات الثلاث الاخيرة من حياته في فلسطين (١٩٢٥ – ١٩٢٨)، بعد ان جرى انتخابه لعضوية المكتب المركزي في الحركة الصهيونية الدينية، حيث لم تنقطع دعوته وبياناته التي كان يحرص ان تؤدي مهامها في اجتذاب الشتات الى فلسطين، وتعجل بهجرتهم اليها لانشاء الوطن القومي او تحقيق الحلم التوراتي!

١- تحت شعار (التوراة والعمل)[1].

اسس لانداو - الثنائية - التي تبلورت كاتجــــاه فكــري جديــد داخــل الصهيونية الدينية، عبر حلقة تضم جماعته داخل حركة مزراحـــي، حيــث تبنى هؤلاء اطروحة (الجمع بين العمل والشرع الديني التقليدي).

فالحلم الذي راود لانداو واتباعه هو التطلع الى تجديد الديانة اليهوديـــة، ولإفساح المجال امام نوع جديد من القوى النابعة من تراب فلسطين.

اما التجديد المنشود، فانه يهدف الى تحرير الديانة اليهودية من معقلـــها المعروف بين الطبقات الوسطى، والى ضرورة تطعيمـــها ببعــض الافكـــار الاشتراكية التي سادت اوساط الشباب اليهودي في اعقاب الحرب العالميـــة الاولى.

٢- اغلب افكاره تدور حول اعتبار الهجرة الى فلسطين، والاقامة فـــي ارضها، بمثابة واجب ديني وتكليف قومي. لاعـــادة الامـــة الـــى وضعـــها الطبيعي، بصفتها المفهوم المطلق في البرنامج الصهيوني او مركز الوجود اليهودي، وان جميع القيم الاخرى تستمد معانيها من هذا المركز بصفتـــها ادوات (وسائل)، في سبيل تحقيق هذا المطلق - الامة - !

ويبلغ التأليه الغيبي للامة الى درجة القول "حتى ان اعادة بنـــاء الارض يجيء في مرتبة ثانوية، لان الارض وجدت لاجل الامة وليس فـــي ســـبيل الارض"[2].

تكشف النصوص الاساسية: (نحو تفسير لايديولوجيتنا) ايضا قوله: مـــن ان اليهودية الدينية منها بوجه خاص، قد اولت اهتماما كبيرا لاعادة بنـــاء ارض اسرائيل، فقد عدها احباء صـــهيون: "واجبـــا قوميـــا" فيمـــا يـــرى

---

[1] راجع لانداو - نحو تفسير لايدولوجيتنا (١٩٢٤) - النصوص الاساسية ص ٣٠٨ - ٣١٣.

[2] المصدر السابق ص ٣١١.

المتدينون: "انها بمثابة وصية سماوية تعادل في اهميتها بقية الوصايا الموجودة في التوراة"، ولذلك يمكن اعتبارها من وجهة النظر اليهودية، غاية في حد ذاتها، وان الواجب نحو هذه المهمة غير مشروط حتى بالولاء القومي "ان الاقامة في الاراضي المقدسة هي احدى الوصايا"[1]، مثل هذه الوصية يمكن تفسيرها على انها قومية او دينية، ولكنها في حقيقتها (مجردة) و(رمزية)، لقد فهم دور الامة في عملية اعادة بناء الارض فقط، من خلال اطاعة ابنائها لهذه الوصية دون ان يكون لها علاقة بالوجود القومي والشخصية القومية للشعب اليهودي. ان وجهة نظر كهذه لا يمكن ان تشكل مصدر وحي لجعل – شعبنا – يعيد بناء ارضه، فقد كان تأثيرها سلبيا، لان الاقامة في الارض – هي وصية لكل فرد يهودي يمكنه العمل بها بطرق مختلفة ليس لها علاقة البتة باعادة البناء بشكل حقيقي.

(الم تعلمنا التوراة بان التوراة خلقت من اجل اسرائيل؟!).. لذلك فان من الواضح ان هدفنا النهائي من الانبعاث القومي هو الذي يحدد لنا هذه النظرة[2].

٤– ماذا نعني بالتوراة؟!

(ان للتوراة التي هي تراث اسرائيل معنيين اساسيين)[3].

الاول: التوراة كشريعة يجب على كل فرد يهودي ان يطيعها.

الثاني: التوراة كروح جماعية للشعب. فهي حسب هذا المعنى تتضمن عملية الانبعاث القومي كليا وتظهر كأنها الصلة والنتيجة في آن واحد. ولذلك فان علاقتها بجوهر الانبعاث كعلاقة اللهب بالجمرة المتوهجة. لا يمكن تصور الانبعاث القومي بعيدا عن الروح القومية (لان شعبنا ليس

---

[1] المصدر السابق ص ٣٠٩

[2] المصدر السابق ٣٠٨ – ٣٠٩

[3] المصدر السابق ص ٣٠٩

شعبا الا من خلال التوراة) وان روح شعبنا لا تستطيع التعبير عن نفسها الا اذا عادت الحياة القومية الى ارضنا من جديد، لان القبس الالهي لا يؤثر في شعبنا الا وهو في ارضه)، وطبقا لهذه المعاني كان لانداو يواصل كتاباته ونداءاته، فيؤكد، بأنه عن طريق نص التوراة فقط يتحقق الوعي القومي الحقيقي فيتعين على كل كائن يهودي كما على كل فرد من افراد الطليعة القومية في الاراضي المقدسة ان يطيع الكتاب المقدس بوصفه:

- المحرك الاولي،
- العنصر الجوهري.
- السبب الفعال للنهضة القومية.

وهو كذلك لأنه اكثر من رمز او شكل لأي من الحياة الفردية او الجماعية باعتباره المصدر الروحي النهائي للحركة.

٥ – ماذا يعني العمل؟!

اذا عد العمل حلا لمشكلة اقتصادية، فلن يكون له اكثر من علاقة زمنية من يوم لآخر مع الحركة القومية، فهو يشمل الناحية الكمية فقط، ولكن لا ينصرف الى (الحياة الازلية)؟! التي هي صفة – الشعب – ان تحديد العمل بالاعتبارات العلمية وحدها يجعله بحاجة الى قيمة اساسية ليكون منطلقا حقيقيا لحركة تريد وتسعى لخلق حياة جديدة مفعمة بالايمان.

ولتحقيق هذا الهدف العظيم، لابد ان يرتفع العمل ويرقى الى المستوى الاسمى بحيث يكون مكافئا لجوهر ومضامين الايديولوجية القومية بعبارة اخرى، لابد ان يكون العمل بمستوى حلم الانبعاث القومي وهو: (عودة الابناء الى شعبهم المشرد؟!).

٦ – الامة والشعب[1]:

---

[1] المصدر السابق ص ٣١٠.

لا يمكن اعتبار (اسرائيل) امة؟!

بعبارة ادق: عدها امة حية – وهي تتناثر كالقطيع في المنفى.

ان كلمة (أمة)، تدل على عنصر فريـــد وهـــو الشـــخصية الجماعيـــة، والمجتمع العضوي المبدع هو الذي يزيد عدد افراده عن مجموعه العام.

فالامة كيان قائم بذاته. وهي (الانا) الجمعية المتماسكة، وليس محـــض تجمع للافراد.

لذلك يتوجب على مفكري اليهودية ان يميزوا بين (الامة) و(الشعب)؟!

.. ان كلمة (الشعب) ترجع الى عوامل روحية كصفات النفس والجنـــس والتاريخ التي تحدد طبيعة المجموع.

بينما (الامة) تشمل جميع جوانب الحياة بما فيها الضرورات الطبيعيـــة، الطبقة، المركز، والاهداف الاقتصادية.

كلمة الشعب تشير الى العامل الروحي في الحياة القومية، بينمـــا تعنـــي (الامة)، الروح والجسد معا، وفي المنفى لم تعد اسرائيل امـــة لـــها هـــذه الصفات.. يجب ان نبدأ اعمال النهضة التي تهدف الى اعطاء حياة جديـــدة وشخصية جماعية لجماعة مبعثرة متحللة، ولتحويل هـــذه الجماعـــة الـــى (امة)، لابد من اعادة الشروط اللازمة والضرورية لانبعاث كيانها القومي.

٨- رونز فايج (١٨٨٦ - ١٩٢٩)[1].

- ولد في المانيا
- فيلسوف صهيوني
- اشتهر بـ(نجمة الانعتاق) احد ابرز اعماله، الصادر ١٩١٩، ويعد من بين المصنفات الكبرى في (المسالة اليهودية).

١- اذا كانت (النجمة السداسية) ترمز الى (درع داود)، واتخذتها الصهيونية شعارا لحركتها وكيانها السياسي فيما بعد، فان فايج جعل منها عنوانا ورمزا.

وان الشكل السداسي لـ(نجمته)، يتسق على حد زعمه مع القول بان الحقيقة التي تنشدها الفلسفة، متعددة الاوجه. ويخطئ العقل، اذا حصرها في بؤرة واحدة، او جعلها في بعد واحد.

٢- الرمزية في شكل (الفكر)، تنصرف الى المضمون المعرفي ايضا.

فلئن كانت الديانات السابقة على اليهودية ترد الحقيقة الى ثلاثة اوجه او تفكك وحدتها الى ثلاثية متباعدة:

- الله
- العالم
- الانسان.

فان هذه التجزئة، اصبحت في اليهودية ولأول مرة، متقاربة، ثم متصلة عبر (الوحي)، فصنعت (مثلثا) كالنجمة.. تتصل رؤوسها الثلاثة بـ مركز ليشكل (الحرية): أي: (الانعتاق)؟![2].

---

[1] راجع الموسوعة الفلسفية اليهودية (مصدر سابق).

[2] راجع موسوعة المفاهيم الصهيوني. ص ٣١٧.

Enycyclopedia of Zoinism and Isael. V.١١١. P. ٩٦. New york ١٩٧١.

٣- الانعتاق ليس هو الخلاص المسيحي، لان الخلاص هو تطهير من الخطيئة،

.. ولكن الانعتاق ابعد من ذلك فهو:-

- العودة الى الله.
- والاتحاد به.

والوحي هو الصلة التي ربطت بين الله وكل من العالم والانسان، وهو (التنزيل)، ولما وعى الانسان مضمون الوحي (الوصايا)، وعرف اساسها..

وهي محبة الله للانسان.. فبادل الله المحبة وعمل بالوصايا..

٤- والوصايا لدى فايج ليست قوانين،لأن جوهر القوانين (القسر) والالزام، كما انها ليست مجرد مبادئ فلسفية يتشدق بها،

.. ولكنها؛ الحكمة الالهية،

عاشت في ضمير الانسان كخبرة شخصية، ومن خلالها تواصل الكائن البشري مع الإله، حيث تولدت لديه الاستطاعة على تغيير:

ـ نفسه

و ـ المجتمع

و ـ الطبيعة من حوله.

٥- وظل هدف الانسان في كل افعاله التي يكدح من اجل انجازها او يأمل تحقيقها هو ان يبلغ – (مملكة الله)[1]، وشعب اسرائيل هو (شعب الله). لأنه منذ اللحظة الاولى التي كلم فيها الله، فتجلى له، قد ولج الشعب مملكة الرب.. وعبر هذه التداعيات التأملية يصل (فايج) منهجه الماورائي

---

[1] مملكة الرب – تعبير صوفي (ماشيحاني) عن الولع الديني الذي يبلغ لدى اغلب رجال اللاهوت الى درجة (الهوس) العاطفي في التعبير عن (الحلم) الفردوسي، او (اليوكوبيا) الساحرة.

اللاجدلي الى ان شعب الله هو شعب اسرائيل، فاذن هو شعب مقدس يعيش الابدية بـ(تقويمه) الخاص.

٦- ان مقولة (الشعب المقدس) او (الشعب المختار) التي يتبناها الفيلسوف فايج، تعبر عن الاتجاه الارثودكسي، لدى اغلبية اليهود، التي تشكل بناءهم العقائدي من حيث (الرسالة المتميزة) التي يتولاها الشعب ذو السمات الخاصة المتفردة، الامر الذي يقضي بتفوقه على الامم الاخرى (الدنيا)، وانفصاله عنها.

ان فكرة (القداسة) التي اضيفت على (اليهودية)، تلتقي في نهاية الامر مع البنية الاسطورية للصهيونية في خلطها اللاتاريخي واللاجدلي بين المطلق والنسبي، لأن الشعب (المقدس)؟!! يعيش مثل بقية الشعوب، ولكن القداسة تتغلغل في نسيجه المميز وتحل فيه.

٧- اذا كان الشعب (المقدس)؟!! قد دخل مملكة الله، فانه ايضا، قد انفرد او تفرد عن عموم الامم الاخرى التي ما تزال تعيش في التاريخ نحو الغاية ذاتها.

بعبارة اخرى: ان الامم الاخرى لا تمتلك وعيا كافيا لادراك الحقيقة، فيما حظي اليهودي بوعي مميز فنالوا قصب السبق في التقاطها قبل غيرهم، فاصبحوا مقدسين منذ اللحظة الاولى للخطاب والتجلي الالهيين، فانفتحت مملكة الرب على رحابها امام الشعب المقدس الذي عرف الحقيقة قبل الامم الاخرى ومثل هذا الامتياز الروحي الخاص باليهود رتب لهم حقوقا اضافية او امتيازات فوق البشرية تجعلهم في السلم الاعلى للاجناس والاقوام والجماعات.

وطبقا لهذا التصور المفارق للعلم والتاريخ، فان (فـــايج) ينتـــهي الـــى اعتقاد غارق في وهدة (العرقية)، مفاده (ان اليهودية سمة بيولوجية يولـــد بها اليهودي وتظل ملازمة له)[1].

.. وفي ذات الوقت فانه يجعل من هذا الوهم العنصري حقيقة ثابتة أزاء الاخر، فيعيب على بعض المسيحيين اغفال الحقيقة البيولوجية علـــى حـــد تعبيرهم، فيصف هؤلاء بـــ(العمى) لانهم يظنـــون ان بمقدورهـــم تبشـــير اليهودي بالمسيحية؟!

٨- الملاحظ هنا ان رونز فايج يعيد الى الذاكرة اسطورة نقاء اليـــهودي العرقي والحضاري التي يزعم مروجوها بان اليهود حافظوا عبر التـــاريخ على نقائهم العرقي، أي انهم لم يختلطوا بغيرهم من الاجنـــاس والشـــعوب الاخرى، بل احتفظوا بتقاليدهم الحضارية في كل الامكنة والازمنة.

ويخلص الصهاينة من كل هذه الرؤى المتوهمـــة، الـــى نتيجـــة تقـــول بـــ(حتمية) انشاء (دولة) مستقلة يعيش فيها الشعب التوراتـــي المنفصـــل عرقيا وحضاريا عن (الأغيار)؟!!

.. ولكن النظرة المعمقة، وحتى العابرة منها لتاريخ اليـــهود تثبـــت ان (النقاء العرقي)، ليس الا مقولة زائفة – من اساسها، بل يمكننا القـــول ان العكس هو الصحيح فاليهود كـــــــانوا على الدوام أقليات دينية متفرقـــة لا يربطها رباط حضاري واحد، مما جعلهم يتأثرون بـــالعديد مـــن الاقـــوام والحضارات.

ولعل الاصرار اليهودي الصهيوني على فكرة (النقاء)، ليس في حقيقتـــه ومراميه الا رد فعل طبيعي لإحساسهم السلبي بـــالتنوع العرقـــي وعقـــدة

---

[1] حول اسطورة النقاء العرقي راجع ميلينا مود رجينكايا – بحث – نقد ايدويلوجيـــة العنصريـــة والصهيونية. ص ٥١ وما يليها.

وانظر عبدالستار الراوي – الايديولوجيا والاساطير بغداد ١٩٨٩.

التعددية الحضارية التي يعاني منها المجتمع (الاسرائيلي) الشبيه بلوحة مضطربة الخطوط والالوان.

ونظرة واحدة الى مختلف الاقليات العرقية اليهودية في (اسرائيل)، تنفي بل وتقتلع مقولة النقاء العنصري من جذورها.

فاليهود (الاشكناز) – الشقر – لا ينتمون الى نفس العرق الذي ينحدر منه يهود (الفلاشا)، او (بني اسرائيل)، والشيء نفسه ينصرف الى (السفارد) او اليهود الشرقيين.

وهذه الحقيقة يعلم بها علماء الاجتماع الاسرائيلي ويعرفونها قبل غيرهم، وان كانوا يعزفون عن اقرارها حتى الان.

٩- اما اسطورة: (النقاء الحضاري)[1]، فهي الاخرى لا تستقيم مع أي نظرة نقدية، فالتراث اليهودي ابتداء من اللغة العبرية ذاتها، وانتهاء بالنشيد الصهيوني يحتشدان بعناصر اجنبية كثيرة.

فاللغة العبرية كانت لغة (الكنعانيين) اما الدين اليهودي فهو متأثر الى حد كبير بالديانات القديمة والسماوية السابقة عليه او المواكبة لظهوره.

ففكرة (التوحيد) مستقاة من مفهوم مصري قديم، وفكرة (الماشيح) وكثير من الاساطير الدينية الاخرى مستمدة من التراث (البابلي)،

ويلاحظ ايضا ثمة تشابه بين سفر (التثنية) وشريعة الملك العراقي (حمورابي) وذات الشيء ينطبق على تماثل بعض اوجه النصوص بين سفر (الامثال) ومدونات الحكمة المصرية القديمة.

١٠- ولم تكن اليهودية في منأى عن تأثير المسيحية والاسلام الاولى في اوربا، وبالاسلام في حوض البحر المتوسط.

---

[1] موسوعة المفاهيم (مصدر سابق) ص ٣٩٩

وراجع حسن حنفي هموم الفكر والوطن ج ١ ص ١٨٧ وما بعدها وانظر ايضا فاضل عبدالواحد من الواح سومر الى التوراة ص ٢٥ وما يليها.

ولعل الدارس المعمق لكتابات (موسى بن ميمون) يدرك اثـــر الاســـلام العميق على فكر ومنهج الفيلسوف اليهودي.

بل ليس ثمة حدود ينتهي عندها تأثير (الاخر) على الـــتراث اليـــهودي. وثمة العديد من البيانات والادلة التي تبرهن من ناحية اخرى على تـــهافت اسطورة النقاء الحضاري.

وعلى سبيل الامثلة الملموسة فان لحن (صلاة كل النذور) مـــأخوذ مـــن لحن مسيحي، وان (الهورا) هي في الاصل رقصة (اوكرانية) شـــعبية. وان الحان (نشيد الامل) مقتبسة من اغنية شعبية رومانية.

بل ان نجمة داود بعينها، كانت في الاساس رمزا رومانيا، وجده اليـــهود على كنيسة في العصور الوسطى فاتخذوها شعارا لهم.

ان الامتزاج الحضاري ليس امرا مخجلا او معيبا فهذا هو قانون الوجود الانساني، القائم على تبادلية التأثير المتواصل بيـــن الشـــعوب والثقافـــات والحضارات.. الا عند الصهاينة فهو امر مشين، فيحاولون انكار انســـانية اليهود في وجودهم المتعين[1].

٩- شموئيل الكسندر (١٨٥٩ - ١٩٣٨)[2].

- فيلسوف يهودي بريطاني المولد.
- قيل انه افضل من يمثل الواقعية المحدثة في عصره.
- مادي ومتيافيزيائي في آن معا.
- شغل كرسي الفلسفة بجامعة مانجستر.

---

[1] موسوعة المفاهيم الصهيونية (مصدر سابق) ص ٣٩٩.

[2] راجع الموسوعة الفلسفية اليهودية (مصدر سابق) ص ٢٧.

- وعرف من بين ابرز اعضاء الجالية اليهودية والاكثر نشاطا في المملكة المتحدة.

١ – لعل خير من يعبر ويترجم رؤيته الفلسفية هو كتابه الذائع الصيت (المكان والزمان والالوهية). انه مادي المنهج والفكر،... لا يؤمن بأنه (مفارق)، ولكنه كسلفه (سبينوزا) يقول بـ(وحدة الوجود).. ان الله هو العالم برمته، من خلال تطلعه الى (التأله) بهذا الاسلوب الغيبي الصوفي يبدأ الكسندر رؤيته الفلسفية، فهو يقول بالتطور من الادنى الى الاعلى.

ويعتقد بان العالم يخلق من المادة، في شكل انبثاقات متتالية.. كل مرتبة منها تفضي الى التي تليها وتعتمد على ما قبلها سلسلة متواصلة..

اما العقل فهو يمثل اعلى مرحلة منها، بوصفه اقصى الكيفيات التي ارتقى اليها التطور في الحاضر.

ولكن هل ينتهي سلم الارتقاء بـ(العقل)؟! فثمة (العواطف الدينية) التي تضيف بـ(التحليل والتركيب، والاستقراء والاستنتاج، انها الدليل لدى الكسندر على تطلعات غير مقيدة، انها ترنو الى (المرتبة الالهية) والمشاعر الدينية التي تتطلع الى (المطلق)، توجد لدى كائنات مفعمة بهذا التوق الميتافيزيائي،.. وهذه المرتبة المفارقة لكل المراتب والمتعالية عليها هي الكيفية التي يتجه اليها – (الانبثاق)!

ويكن من المستحيل التنبؤ عن الشكل الذي ستكون عليه هذه الكائنات، وانما يمكن فقط القول، بان الفارق بين الكائنات الحاملات للألوهية وبين الانسان الحامل للعقل، هو كالفارق بين العقل، وبين المادة الغفل – اصل الحياة.

وربما يكون لهذه الكائنات الحاملة للألوهية دور اساسي في تطور لاحق لانبثاق كيفية اسمى، ابعد دلالة من مجرد التطلع الى المرتبة الالهية.

٢ -- يعتمد شموئيل في فكرته التأملية على عدد من المرجعيات فلسفة برجسون في (التطور الخلاق).

وعلى (مورجان)[١]، فياخذ من الاخير مفهوم (الانبثاقات).

يقول الكسندر شموئيل: (ان اصل المادة متصل الحركة، والذي يمكن تحليله الى علاقات بين نقاط ولحظات والنقطة اللحظة: هي اصغر جزء في الحركة ويعيد (النص) الى الاذهان مذهب (الذرة) بصفة خاصة اقوال الذريين من الفلاسفة المسلمين، وان كان الكسندر يعمد الى استخدام بعض المفاهيم العلمية المستحدثة في نظريته، ويحاول ان يضيف ميتافيزياءه بأنها عملية وذات طابع تجريبي لأنها تستخلص مقولاتها من تأملاته في تركيب العالم، شأنها في ذلك شان سائر العلوم، الا ان العلم المعاصر يتعارض كليا مع ما يقوله ويذهب اليه.

١٠- ليوبولد فيرتايمر (١٨٦٢ - ١٩٣٩)

- فيلسوف الماني يهودي مناهض للاساطير الدينية والصهيونية.

- نهض فيرتايمر من رماد الفجيعة النازية، فقد اجبرته ملاحقات النازية على مغادرة وطنه (المانيا) عام ١٩٣٣، بعد ان كاد يقع في قبضة (الجستابو)، فاضطره ذلك اللجوء الى (هولندا).

١ – اثمرت دراسته للمسألة اليهودية وتأملاته العميقة في اسبابها ان اعتبر الصهيونية ليست اكثر ولا اقل من (خرافة)، لأنها في رأيه عمدت الى

---

[١] لويس هنري مورجان (١٨١٩ – ١٨٨١) عالم امريكي من علماء الاجناس والآثار درس طريقة حياة الهنود الحمر (الاميركيين) وجمع قدرا هائلا من المعلومات الفعلية عن تاريخ المجتمع المشاعي البدائي، وقد عمم هذه الحقائق في كتابه (المجتمع القديم) ١٨٧٧.

راجع روزنتال – الموسوعة الفلسفية ص ٥٠٩.

تشويه الحقيقة من خلال جدلياتها الزائفة، فهي ترفع من شان (النسبي) الى مستوى (المطلق)، وتحط من قدر الاخير فيتسامى الانسان ليصبح (إلـــها) و(الكلي) يتحول الى (جزئي)! ازاء موقفه الشجاع عـــد فيرتـــايمر العـــدو المبين للتوراة!

واذا كان الفيلسوف الالماني الهارب من الايديولوجية النازية، قد رفـــض (الوهم الصهيوني)، واستبدله بالواقع، فان وعيه العقلاني الذي قاده الـــى مناهضة الاوهام اللاتاريخية واللاعلمية، التي يتمسك بها حاخامات اليهود،

جعله ينفرد عن الفكر الفلسفي اليهودي ويتمـــيز عليـــه فـــي معالجتـــه للمسألة اليهودية فهو يرى بأن الحل الأمثل لها يكمن فقط في اندماج اليهود بمجتمعاتهم التي ولدوا ويعيشون فيها وليس خارج هذه الاوطان. وعليـــهم ان يطرحوا جانبا الايديولوجيا العرقية ويتخلون عن اساطيرهم بالكامل. لأن الصهيونية فكرة وحركة ليست الا تشويها لليهودية،..

فالحل هو ان تلقى الاجيال الجديدة والمســـتنيرون خرافـــة (الاخـــر) – الأغيار وان يباشروا عملية الاندماج والتكيف والتأقلم فـــي البلـــدان التـــي ينتمون اليها.

٢- يعرض فيرتايمر اعتماداته الفكرية التي انتهى الى بناء نتائجها الـــى تأكيد ضرورة الانتماء الوطني، ونفي الولاء العرقي/ الدينـــــي مـــن خـــلال تصنيفه لمستويات التفكير البشري:

أ- العلمي: هو قسمة مشتركة بين الناس جميعا دون استثناء وهو فـــي متناولهم اينما وجدوا.

ب- الحدسي: ويعد ارقى مستويات التفكـــير غايتـــه ادراك (المطلـــق) والطريق اليه يتم بـــ(الالهام).

جـ- الاسطوري: الاعتقاد الذي يقوم على خرافة الصهيونية ومثل هـذا النوع يشبه التفكير ولكنه ليس كذلك، لانه ينطلق من (تصورات مسـبقة)، لايستطيع التحرر من (الاحكام القبلية) وهو بالضرورة تفكـير زائـف. او لاتفكير!

١١- هنري برجسون (١٨٥٩ - ١٩٤١)[1].

- **فيلسوف مثالي فرنسي**
- **ممثل الحدسية.**
- **اصبح عام ١٩٠٠ استاذا في (الكوليج دي فرانس) وانتخب عام ١٩١٤ عضوا بالاكاديمية الفرنسية.**

<u>مؤلفاته الرئيسية:</u>

- **مقال في المعطيات المباشرة للشعور ١٨٨٩.**
- **المادة والذاكرة ١٨٩٦.**
- **التطور الخالق ١٩٠٧.**
- **الفكر والحركة ١٩٣٤.**
- **ينبوعا الاخلاق والدين ١٩٤٠.**

١- الديمومة الخالصة أي (اللامادية) هي المفهوم الرئيسي في مثاليته. وهي تعني عنده اساس واصل جميع الاشياء ومن خلال عناصر المـادة والزمان والحركة نتصور الديمومة؟!

---

[1] راجع:

روزنتال الموسوعة الفلسفية ص ٧٨ – ٧٩

الحفني الموسوعة الفلسفية اليهودية ص ٢١

ولا يمكن احراز المعرفة الا عن طريق (الحدس)، معرفة مباشرة لا يمكن ردها الى الخبرة الحسية او المعرفة التأملية انها معرفة صوفية، يتطابق فيها: (فصل المعرفة مع الفعل الذي يخلق الواقع).

٢- ومع ان برجسون لم يحاول في كتاباته الاقتراب من التراث اليهودي. الا ان صفة الالحاد التي اتسم بها مؤلفه "التطور الخالق" اكسبه عداوة رجال الدين، فظهرت عناوين كتبه في القائمة المحرمة التي يذيعها (البابا) على المؤمنين؟!!

على ان الأمر اللافت للنظر في "التطور الخالق"، ليس طابع الهرطقة الذي اثار حفيظة الكنيسة او ذوي النزعات الدينية المحافظة، وانما ايضا النقد الصارم الذي سددته اليه الثقافة الماركسية، بعد ان استبدل برجسون المنطق العلمي بـ(كلية) المفاهيم المستمدة من المثالية البيولوجية. ووقوعه في شراك الذرائعية، حين لجأ الى تبرير آرائه عن: (المجتمع، والصراع الطبقي)، بقوله:

(ان قهر طبقة من الطبقات الاخرى حالة غير طبيعية).

الامر الذي دفع الموسوعة الفلسفية السوفيتية ان تعتبر قوله ليس الا دعوى عائمة، لا تستند الى أي برهان.

كما اخذت الماركسية عليه اقراره وتسليمه (في اعتبار الحرب قانونا حتميا للطبيعة)؟!

فوصفت اقواله بأنها مجافية للمنطق العلمي، وخروجا على التاريخ، فضلا عن كونها تعبيرا حيا عن (اللاعقلانية)!

وعلى النقيض من "التطور الخالق"، وجدت الاوساط الاكاديمية والدينية في كتابه الاخر "ينبوعا الاخلاق والدين"، نبرة صوفية قربت بينه وبين

الكثيرين من العلماء والمفكرين فيما يظل برجسون بالرغم من كل شيء فيلسوفا طبيعيا او من الدهريين.

٣- اما الوجه الاخر الذي تقوم عليه فلسفته في (التطور الخالق)، فهو قوله بـ(الصيرورة)!

التي استثمرها بعض الفلاسفة اليهود، فالروح في الطبيعة ليست بمثابة شيء يحل في الاخر فكل كائن حي هو في جوهره (زماني)، يتصف بـ(الصيرورة)، التي تعني تطور الكائن، وانتقاله من مرحلة الى مرحلة اعلى منها، وخضوعه لـ(حكم) الزمن، ومروره باطوار يأتلف منها تاريخ واحد متصل.

- فالحقيقة الاولى هي (الصيرورة)،
- وليست (الديمومة).
- والتغيير لا الثبات.

وما دام الزمان نسيج الواقع وقانونه، فان التطور حقيقة ثابتة.

وتطور الكائن الحي يشبه الى حد كبير تطور الجنين فهو ينطوي على تسجيل مستمر للديمومة وبقاء للماضي في الحاضر.

وبالتالي ما يشبه (الذاكرة العضوية)، وفي هذا يبدو الفارق الكبير بين الزمان الحي الواقعي، وبين الزمان الرياضي المجرد.

هو زمان الخلق المتجدد الذي لا يكف عن الفناء والتجدد، والموت والبعث.

واما التطور، فانه عبارة عن استمرار حقيقي للماضي في الحاضر وديمومة حية بمثابة همزة الوصل بين الماضي والمستقبل.

وثمة تسلسل منطقي بين صور التطور وتعاقب زمني بين الاجناس التي تجسدت فيها تلك الصور، تسلسلا وتعاقبا (ليس آليا)، بل تطور مدفوع

(باطنيا) بما يسميه برجسون (الوثبة الحيوية)، تنقل الحياة عبر صورها المتعاقبة التي تزداد تعقيدا حتى تمضي بها نحو اعلى صور الحياة وارفعها درجة فكأننا ازاء تيار حي قد نبع في وقت ما من نقطة، من مكان ما، وانتقل من جسم الى جسم، ومن جيل لجيل.

ولم يلبث ان انقسم بين الاجناس وتشتت بين الافراد، دون ان يفقد من قوته، بل كان يزداد كلما اوغل في التقدم.

١٢- برنشفيك (١٨٦٩ - ١٩٤٤)[١].

١- تشير اوراقه الفلسفية الى انتقائية ذكية، خليطة من (سبينوزا) و(برجسون)، عبر عنها برنشفيك في ثنائية توفيقية جعلها عنوانا لكتابه "العقل والدين".. بعد ان القى اسئلته الفلسفية:

- (كيف تلتقي الحكمة بالشريعة)؟!
- (.. والانسان والإله)؟!
- (... النسبي والمطلق)؟!

٢- انه يسعى الى لون جديد يتجاوز الكلاميات اللاهوتية، وينأى عن العلمانية الليبرالية.. ويتخطى المألوف، الاعتيادي، التقليدي.

٣- ان الديانة التي يبشر بها، تختلف كليا عن الانظمة اللاهوتية الرتيبة (الثابتة)، السكونية، (الجامدة)! لأنها في رأيه تعاني من هبوط الرؤى وفجاجة التصورات، فهي غارقة في (التجسيم) الساذج التي تظهر (الله)، كما لو كان كائنا فيزياويا.

البديل هو التحرر من قبضة اللاهوت الناسوتي، او الناسوت اللاهوتي.

يقول برنشفيك:

---

[١] الموسوعة الفلسفية اليهودية ص ١٨.

"ان الوعي هو الحقيقة الوحيدة".

واذا كان الوعي يمثل اعلى اشكال انعكاس الواقع الموضوعي، (الكامن في الانسان)، وهو المجمل الكلي للعمليات العقلية التي تشترك ايجابيا في فهم الانسان للعالم الموضوعي ولوجوده الشخصي.. فان الفيلسوف يجعل من (الله) مصدرا لهذا الوعي، فهو الذي يبعث الحركة فيه ويمنحه الحياة.

لذلك فهو (وعي) بـ(القوة) من الخارج، ليس بمقدور الانسان الا ان يكون (وعاء) لفعل متيافيزيائي كلي مفارق.

ويواصل برنشفيك تأملاته الذاتية الى حد الاعتقاد الجازم "بأنه مع تطور الوعي وارتقاء الانسان الى مراحل اعلى، فان الانسانية تحقق عهدا ثالثا"[1]؟! الذي يمكن ان يحل محل (العهد الثاني) المسمى (العهد الجديد).

ويبرر برنشفيك التوق الروحي لاستبدال العهدين بعهد ثالث بديل، بقوله:

(ان ديانة القرن العشرين في مفترق طرق، بين ديانة الماضي التقليدية، او ديانة العهدين القديم والجديد التي كان الله فيها صورة لطموحات الانسان وامالة في تلك الاوقات، وبين ديانة المستقبل التي ينبئ بها التفكير الفلسفي وهي ديانة روحية خالصة من كل شوائب التجسيم والتشبيه)[2].

٤- اذا كان البحث عن طراز روحي جديد، يبدو اشبه بالتمرد على النمطية الثيوقراطية في اليهودية، فان الحوار الذي عقدته الجمعية الفلسفية الفرنسية عام ١٩٢٨ بين اعضائها لمناقشة مشروع برنشفيك انتهى الى اتهامه بالهرطقة والالحاد لانكاره الإله التقليدي.

---

[1] العهد الثالث في رأي برنشفيك يجيء بعد العهدين الاول (العهد القديم) والعهد الثاني (العهد الجديد). اشارة الى التعاقب الديني (اليهودية) و(المسيحية)، او (التوراة)، و(الانجيل) الامر الذي يجعل (العهد الثالث)، ديانة جديدة او عهدا جديدا.

[2] المصدر السابق.

فيما حاول الفيلسوف الفرنسي ان يرد اتهامات الجمعية الفلسفية بمذكرة قال فيها:

.. ان الاله الذي اؤمن به، هو كالروح المطلق عند هيجل التي تتطـــور بذاتها، باعتبارها اساس وجوهر العالم، او (عقل العالم) او (روح العـــالم).. وهذا المطلق ايجابي، وايجابيته تتألف من الفكرة المطلقة في ثلاث مراحل:

أ- تطور الفكرة في ذاتها في (عنصر التفكير الخالص)، أي علم المنطق حيث تكشف الفكرة مضمونها في نسق من المقولات المترابطة.

ب- تطور الفكــرة فـــي صــــورة (الوجود الاخر) في صورة الطبيعــة أي - فلسفة الطبيعة - بوصف الطبيعة مظهرا خارجيـــا للتطـــور الذاتـــي للمقولات المنطقية التي تشكل جوهرها الروحي.

جـ- تطور الفكرة في الفكر والتاريخ في (الروح) أي (فلسفة الروح).

وفي هذه المرحلة تنسحب الفكرة المطلقة الى داخل ذاتـــــها، وتتصـــور مضمونها في الاشكال المختلفة للاستدلال والنشاط الانساني.

وقد اعتقد برنشفيك كما اعتقد هيجل من قبل ان مذهبه اتم التطور الذاتي للفكرة المطلقة واتم في الوقت نفسه ادراكها الذاتي.

١٣- جاكوب كلاتزكين (١٨٨٢ - ١٩٤٨)[١].

- فيلسوف وكاتب صهيوني محترف.
- ولد في (بولونيا)، وكان ابوه حاخاما ومن علماء التلمـــود البارزين.
- حصل على الثقافة التلمودية اللاهوتية، ثم تلقى شيئا مـــن التعليم العلماني في (سويسرا والمانيا)..

[١] عن سيرته وفكره - راجع النصوص الاساسية ص ٢٠١ - ٢١٣.

- استقر في جنيف عام ١٩٣٣.

خلال دراسته الفلسفة في المانيا انجذب الى حلقة صهيونية في الجامعة، فولع ببرامجها، وبدأ منذ ان كان طالبا العمل في نشاطات الحركة..

وبسبب حماسته للمشروع الصهيوني،

.. وثقافته الواسعة (اللاهوتية والفلسفية)، فقد اختير عضوا في هيئة تحرير الموسوعة اليهودية، واشترك مع (ناحوم جولدمان) في تأسيس (دار اشكول) لنشر الكتب العبرية...وترأس ادارة جريدة (دي فيلت). ولم تنقطع جهوده، فقد بادر الى وضع العديد من المؤلفات الفلسفية من بينها:-

- مجموعة من الاقوال المأثورة بعنوان (في مدح الحكمة).
- مختارات من الفلاسفة الذين يكتبون بالعبرية.
- الفلاسفة العرب في العصر الوسيط.
- معجم المصطلحات الفلسفية.

وقد اعد هذا المعجم باللغة العبرية، مساهمة منه في اغناء الثقافة اليهودية..

وعدا اعماله الفلسفية والفكرية الاخرى، فانه ادرك ضرورة تعميق وتوطيد الايديولوجية الصهيونية.. فبادر الى تأليف كتاب يعد من اهم مؤلفاته واخطرها تأثيرا على الوجدان اليهودي بعنوان:

(انحطاط الحياة)، والذي اجمل فيه فلسفته ورسالته الفكرية، عبر مقولته:

" .. ان التطور الفكري للبشرية، قد انضب قواها الحيوية، وعليها ان تستعيد نفسها للعودة مرة اخرى الى تيار الحياة المتدفق المتغير حتى تجد ذاتها..".

وعن هذا النص الذي اودعه كلاتزكين في مؤلفه (انحطاط الحياة) يقول عبدالوهاب المسيري:

".. وهنا نجد مرة اخرى هذا الاصرار الصهيوني البراجماتي على التغير واللاتحدد الذي يتواجد جنبا الى جنب مع التصور الهيجلي للتراث اليهودي الثابت الذي لا يتغير.. وهذا الاستقطاب يلاحظ في معظم الكتابات الصهيونية، وبشكل اساسي البرنامج السياسي المبني على اقتلاع الفلسطينيين من ارضهم باسم (التغير) و(الصيرورة).

وزرع يهود الشتات مكانهم بدعوى (الثبات) و(الاستمرار اليهودي) والرابطة الازلية"[1]،

١- تقوم فلسفته على اسس بيولوجية، وتتنكر للعقل اذ تشدد على الاخطار التي تهدد روح الانسان الحديث من جراء سيطرة العقل.

يدعو للصهيونية على اساس المذهب الحيوي[2] اذ يجعل مقومات الوجود الصهيوني مستمدة من البيولوجيا والاثنية، ويعتبر الارض واللغة صانعتي الامة. لذلك يدعو اليهود للاستيطان في فلسطين، واستعمارها والتحدث باللغة العبرية من جديد لكي تتحقق الحياة القومية اليهودية. وقد عبر عن

---

[1] الموسوعة الصهيونية ص ٢١٢ – ٢١٣.

[2] تيار مثالي في علم البيولوجيا، يعزو جميع عمليات نشاط الحياة الى العوامل اللامادية الخاصة، التي يقال انها ماثلة في الكائنات الحية.

وتضرب جذور المذهب الحيوي في فكر افلاطون عن النفس المفروض فيها ان تضفي طابعا روحيا على العالمين الحيواني والنباتي. وقد تشكل المذهب الحيوي كمفهوم في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ولا يزال مستمرا في عصرنا الراهن. ان المذهب الحيوي باقراره للفردية الكيفية للطبيعة الحية، انما يفصل عمليات الحياة عن القوانين المادية الفيزياوية والكيماوية معا، وقد ادت المبالغة في التركيز على التقابل بين الطبيعة الحية وغير الحية بالمذهب الى ان يرفض امكان انبثاق الشكل الحيوي من الشكل غير الحيوي للدفاع عن الميتافيزياء ومناهضة العلم الخ.

راجع الموسوعة الفلسفية. ص ٤٧٠.

افكاره الصهيونية في عدة مقالات جمعت عام ١٩١٤، وصدرت بعنوان: (حدود)، وهو يحاول تعريف الامة والقومية على اساس الارض واللغة، اذ (لا معنى لأي حديث عن الفرادة الروحية والمصير والرسالة) فهو يعد هذه المسائل من العلامات المرضية لدى كل من ليس بأمة. وليس من حل امام اليهود سوى الهجرة الى فلسطين او (الزوال) عن طريق التزاوج. وليس ثمة حل وسط، فاما ان (نكون) او (نزول).

لذلك فهو ينظر الى الصهيونية على اساس بدعتها في تعريف (القومية اليهودية) تعريفا اقليميا سياسيا وليس كنظرة دينية او تراث روحي.. فلا يمكن ان تقوم الصهيونية على فهم الهوية اليهودية التي ترتكز بدورها على المقاييس الروحية، لأن ذلك يعني عودة الى التقييد بقيم نظرته القديمة، وليس هدف الصهيونية من الاستيلاء على فلسطين بدافع الرغبة في ايجاد قاعدة للقيم الروحية اليهودية، (بل لمجرد استعادة ارضنا) وتحقيق (حياتنا القومية) على الارض.

والصهيونية في النهاية تعارض القيم الاخلاقية في الدين اليهودي، فتجعل بدايتها الحقة، (اقامة الدولة اليهودية)، واعطاءها الطابع العلماني ثم ينتهي كلاتزكين الى القول:

(بأن الصهيونية لها نزعة انسانية شاملة، اذ هي تسعى نحو الاخلاق والجمال، وتعمل على خلاص الانسان في نفس اليهودي)؟!

* وبالرغم من نزعته العلمانية ودعوته الى اهمال المسألة الدينية، فان فكرياته مفعمة بجوهر الرؤى والتصورات اللاهوتية اللاتاريخية، فمن اليسير الكشف عن المعادلات الدينية، ابتداء من (الاثنية) – العرقية، والتوصيفات المتوهمة لشعب الله المختار؟!! مرورا بقضية الارض (المقدسة) – ارض الميعاد؟!!

وليس هذا هو التناقض البارز الوحيد،.. فاذا كانت علمانيته ترفض (الفرادة) والمصير والرسالة، ولواحقها اللاهوتية والعنصرية،.. فأين يضع فكره الليبرالي ازاء الهجرة، وهو يحتم على اليهودية اختيار واحد، لابديل له الا (الزوال)؟!

والامر سيان، سواء تحت العودة الى فلسطين واغتصاب ارضها تحت ذرائع لاهوتية، ام دعاوى علمانية، فان الغاية تبقى قائمة على مبدأ اقتلاع الفلسطينيين من جذورهم، واحلال (الشتات)، وزرعهم في ارض لا يملكون منها او حيالها، الا وجدانا منغمرا بالاحلام والاساطير.

٢- يتحدث كلاتزكين عبر (النصوص الاساسية)[1]. منذ مقالته الاولى (الحدود) او (التخوم) التي بدأ ينشرها على مدى سبعة اعوام (١٩١٤ - ١٩٢١)، مؤكدا في مقدماتها الاولى على قضية واحدة - هي - اليهودية هي القومية - وقد عدها واحدة من البديهيات الاولية التي يتعين ايجاد الوعاء المادي للتعبير عن ماهيتها وتحقيق نتائجها على الارض وليست ارضا (تجريدية)، وانما هي مسافة وزمن معروفان صوب (فلسطين).

وعلى ذلك فان من الممكن (استعادة) الارض، وبنفس الامكانية يمكن لليهود ان يتحدثوا بلغتهم الحقيقية (العبرية).

الامر الذي يفضي بـ(كلاتزكين) الى بناء النتائج الآتية:

أ- ان المنفى ليس جديرا بالبقاء.

ب- ان حياة المنفى تزيف شخصيتنا القومية.

جـ- المنفى يفسد هويتنا وكرامتنا الانسانية.

---

[1] راجع كلاتزكين - النصوص الاساسية ص ٢٠٢ - ٢١٣.

.. ازاء ذلك فليس بوسع اليهودي الا ان ينهض من جحيم المنفى او يخرج من نعيمه الخادع.. ويتجه صوب الارض التي انتظرت عودة بنيها ومواطنيها.. حيث نبدأ من هناك:

(النهضة القومية والكرامة الشخصية)؟!

انها محاولة لشفاء النفوس المريضة، لان يعود الرجال الى شعبهم، اننا نستطيع ان نسمع فيها (الارض) حقق اجنحة ثورة عظيمة، ووحي اخلاقي جمالي وتجربة مرتعشة. هذا هو بعث الانسان في اليهودي؟!!

١٤- مناحيم موردخاي كابلان (١٨٨١ - ١٩٥٠)[١].

- حاخام، وفيلسوف لاهوتي. ومن زعماء اليهود البارزين.
- ولد في ليتوانيا، جيء به الى اميركا في الثانية من عمره تلقى تعليما ارثدوكسيا في بداية حياته الدراسية، لكنه انصرف عن الارثدوكسية ، بعد ان شعر بميل نحو الافكار التقدمية.
- اقام عام ١٩١٦ المركز اليهودي في منهاتن، وما لبث ان انفصل عنه وعن جماعته التي تسايره في ارائه الدينية، التي بدأت تتجه نحو النزعة الليبرالية، فأسس عام ١٩٢٢ (جمعية ترقية او تطوير الدين اليهودي)، وراح يسعى الى تجسيد الافكار التي نادى بها في مركز الكنيس الذي اراده ان يكون مقالا لما يجب ان تكون عليه مؤسسة من مؤسسات الدين اليهودي، فعمل على رأسه، ثم موجها ورئيسا فخريا حتى وفاته في ١٩٦٨.
- انصرف منذ اواخر الثلاثينات من عمره لتكريس وقته وجهده لتطوير فلسفة اليهودية وتنمية اتجاه خاص به.

---

[١] راجع الفكرة الصهيونية ص ٤٠٥ – ٤٠٦.

١- اطلق على اتجاهه الفكري: (التجديـــد)[1] Reconstructionism والـذي ابانه شرحا وتحليلا في كتابه (اليهودية كمدنية).

وقد اثارت كتب الصلاة التي حذف منها الكثير من النصوص التقليديـة جدلا عنيفا في الاوساط اليهودية المتزمتة.

لا تختلف مقدمات تفكيره الصهيوني كثيرا عن (كالن)، غير انه يســرف في الدين اكثر منه، فهو لا يكتفي، كما فعل كالن، بتعريف اليهوديـة علـى انها واحدة من عدة مدنيات قومية متوازية، بل يعد الدين عنصرا مميزا في التجربة اليهودية، ويصر على وصف المدنية اليهودية بالدينية - القوميـة، معتبرا اياه الوصف الصحيح. فاليهودية لن يكتب لها البقاء كطريقـة فـي الحياة الا من خلال استجابتها لحاجات الانسان الحقيقية. لذلك تجده يســير اثر خطا احد هعام حين يتحدث عن ضرورة وجـود وطـن قومـي للديـن اليهودي حيث يتكيف ذلك الدين مع متطلبات العصر الحديث، ويعيـد بنـاء نفسه بطريقته الخاصة. لكن كابلان يؤيد الصهيونية على طريقته الخاصـة، فهو ينكر مثلا العديد من التطورات الارثوذكسية في (الوحـي) و(الشـعب المختار) ويؤكد على طراز من اللاهوت المستمد من (انجيـل اجتمـاعي) يهودي الطابع والخصائص، ولا تقضي هذه المفاهيم المستحدثة على نزعته الصهيونية، لانه لا يتخلى عن توكيد اهمية الوطن القومي اليهودي.

٢- ثمة مقولة اولية، يعدها بمثابة بديهية يقول فيها:

(لاوطن يهودي بدون يهود الشتات). اعتقادا منه بان وجود اليهود فـي العالم شرط اساسي لقيام واستمرار الوطن اليهودي، ويعلل ذلـك مـن ان الرابطة التي تشد يهود الشتات الى ارض اسرائيل هي دينيـة وحضاريـة، وعليه فمن واجب اليهود خارج اسرائيل ان يكون ولاؤهم السياسي وفقـا

---

[1] راجع كابلان (النصوص الاساسية) ص ٤٠٦ وما يليها.

للبندان التي يقيمون فيها. ولكن اليهودية الامريكية لا غنى عنها كقوة تشترك في اقامة (الكومنولث اليهودي): "ان دور اليهود في اميركا من جهة علاقتهم باسرائيل مشابه لدور الجبهة الداخلية الامريكية من جهة جبهة المعركة خلال الحرب العالمية الاخيرة (الاولى)".

ان شبابنا وشاباتنا يجب ان يشعروا بان ذهابهم الى ارض اسرائيل وخدمتهم لشعبهم امر شرعي ونبيل، كأي عمل تبشيري او ثقافي يقوم به الامريكيون خدمة لمختلف الشعوب في المشرق الاقصى، اما الطلاب الذين يخططون للذهاب الى ارض اسرائيل للقيام بعمل من الاعمال الرسمية في المكاتب وغيرها، فانهم بذلك لا يقومون بأية خدمة خاصة هناك، انهم بذلك يحرمون الحياة اليهودية الامريكية من امكانية الاستفادة منهم هنا[1].

اما مذهبه (التجديدي)، الذي حاول من خلاله الانفلات من اليهودية الارثودكسية وتجاوز بنيتها المتزمتة فهو يقوم على منهج انتقائي توفيقي بين الثقافتين الدينية اليهودية، والاميركية المعاصرة. وهو لا ينكر ان القطب الاول يحتل منزلة محورية في حياة اليهودي، لكنه يصر على ان القطب الثاني ينعم بقيمة اخلاقية بالنسبة للعصر والحياة اليومية، وتغدو صهيونية الامريكية التجديدية هذه بمثابة جمع وتوفيق بين (الماضي والحاضر)، بين (الروح والمادة) بين (المنفى والارض) ان هذا يعني حسب رأيه ".. بأنه من الان فصاعدا يجب ان يكون هناك مقياسان للحياة اليهودية العادية:

الاول: لأرض اسرائيل حيث يمكن ان يعيش اليهود الحياة اليهودية بشكل كامل كحضارة تامة يمكنها ان تمنح بينها العناصر الضرورية لتحقيق ذاتهم وسعادتهم.

---

[1] كابلان النصوص الاساسية (مستقبل يهود اميركا) ص ٤٠٦ - ٤٠٩.

والثاني: للبلدان الديمقراطية كالولايات المتحدة، حيث يجب ان يتطلع اليهود منها الى الامن الاقتصادي والاجتماعي في الوطن الامريكي الذي بدوره يامل في ان يجد اليهود امنهم الروحي والمعنوي في مكان اخر ان بامكانهم في الوقت الحاضر ان يجدوا ذلك الامن بشكل رئيسي في شعبهم اليهودي وتقاليده.

ان الموقف الذي تبناه كابلان يمكن ايجازه بان ليس هناك أي شيء غير عادي في التوفيق ما بين الحياة الديمقراطية وحفظ الشخصية الجماعية لليهود، مع ان مثل هذا التوفيق في الشتات، لابد وان يؤدي الى حياة يهودية جديدة.

١٥ - **شموئيل هوجر بيرجمان** (١٨٨٣ - ١٩٥٠)[١].

- فيلسوف تشيكي.
- بدا صهيونيا في شبابه المبكر.
- هاجر عام ١٩٢٠ الى فلسطين، بحثا وراء الحلم التلمودي الضيق..
- التقى (مارتن بوبر)، اعجب به، وتأثر بافكاره.. وانطبع بفلسفته واتخذه وليا مرشدا..
- خلال دراسته في (برلين) انضم الى جماعة (المحدثين اليهود) بصفة خاصة:
- هيرمان كوهين
- آرنست كاسيرر

---

[١] راجع الموسوعة الفلسفية اليهودية ص ٤٣.

١- اتسمت اتجاهاته الفلسفية في اول الامر بطـــابع علمـــي مشـــايعة، لـــ(برنتانو)، ولكنه استحدث فيما بعد مقولة (العلم المؤسس على الايمـــان) ليصبح احد دعاة التيار المثالي الالماني الجديد، تحت شعار: "العـــودة الـــى كانط" الذي عنى اصحابه تقديم وتطوير العناصر المثاليـــة والميتافيزيائيـــة عبر قراءة جديدة لتراث عمانويل كانط.

.. وقد وجدت الكانطية الجديدة[1] تعبيرا كاملا لها في مدرستين الماتيتين:

الاولى: مدرسة (فرايبورغ اوبادن)

والثانية: مدرسة (ماربورغ)

وقد تبنى (بيرجمان) المدرسة الثانية، ومعه (هيرمان كوهين) و (ارنست كاسيرر) ويهود اخرون.

وقد اعتمدت (ماربورغ) تفسيرا مثاليا للمفاهيم الموضوعيـــة العلميـــة، وللمقولات الفلسفية، معتبرة اياها بمثابة "بناءات منطقية".

.. وقد حاول بيرجمان ان ينشيء اكثر من مقال، في الدفاع عن منـــهج واتجاهات الكانطية الجديدة، عقب اصطدامها بالماركسية، فأصبحت مثاليتها عرضة لنقدها الفلسفي، واتهمتها بـــ (التحريفية)، وبأنها (العقيدة الرسـمية للانتهازيين) في الاممية الثانية..

بل ان (لينين) ذاته، وجه نقدا قاسيا لها ولأتباعها[2].

على ان انشغالات بيرجمان بالكانطية لم يحل بينه وبين مواصلته البحـث في (المسألة اليهودية)، فعقب تأويلاته الفكرية لتأصيل الدور اليهودي فـــي التراث والثقافة والحضارة الغربية، انتقل الى جانب جديـــد وهـــو عـــرض

---

[1] راجع الموسوعة الفلسفية ص ٣٨٩

٢ المصدر السابق (نفس الصفحة)

تجربته الدينية التي وصفها بأنها: (مباشرة)! بلقاء تم بينه وبين (الله)، عبر الحوار والصلاة؟!

ومثل هذا اللقاء (المزعوم)، الذي يفصح عن ظلال (عرفانية ـ صوفية)، يذكرنا بـ (رؤية) استاذه (مارتن بوبر) الذي ينقل مقولات هذه (الرؤى) من التجربة اليهودية الكبرى، التي يقول فيها:

"اللقاء الاكبر بين شعب اسرائيل والله تم عندما تجلى للشعب وجاذبه اطراف الحديث"؟!!.

وقد سجل بيرجمان خطراته المتعالية في كتابه "منكرون ومؤمنون". حيث تكتظ فصوله باللاهوتيات الذاتية، اللافلسفية مما يجعله يدور حول الارث القبالي[1]

٢-اللقاء بين الله وشعب (اسرائيل)!

رؤية رمزية اخرى اصطنعها بيرجمان عن القداسة المتوهمة والتوق الشديد بعيدا عن الاحتياز للاله اليهودي وللشعب المختار معا.

توكيدا للتفوق والفرادة والمفارقة!

٣- قدم اطروحة (العلم المؤسس على الايمان) عبر كتابه "الايمان والعقل".

ولكن أي ايمان؟!

واي عقل؟!

---

[1] القبالة: علم التأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، والمعنى الاصلي لكلمة (قبالة) في اللغة العبرية هو التراث (من ـ القبول ـ) وكان يقصد بها اصلا التراث الشفوي المتناقل لليهودية فيما يعرف باسم "الشريعة الشفوية" ثم اصبحت منذ اواخر القرن الثاني عشر الميلادي تعني الاشكال المتطورة للتصوف والعلم الحاخامي.

راجع الموسوعة الصهيونية ص ٢٩٠-٢٩١.

-ينحصر الايمان بين موسي (التلموذ) اما العقل فهو الاخر عقل (يهودي) الذي طالما اغنى الفكر الغربي واسهم في تطوير الفلسفة الاوربية.

وبرغم هذا (الامتياز) المتعالي والتفوق (المتوهم) الذي تختبئ وراءه (عرقية) بيرجمان رغم كل ذلك فقد وصف رؤيته الفلسفية بـ(العلمية) لمجرد مشايعته (برنتانو)[١] المعروف بموافقة المناهض للنقد الكانطي طبقا لمذهبه المثالي الميتافيزيائي الشديد التعلق بتراث (السكولائية)[٢] بعد ان انضم (بيرجمان) الى الكانطية الجديدة.

---

[١] فرانز برنتانو (١٨٣٨-١٩١٧) فيلسوف مثالي نمساوي حاضر في الفلسفة في فيينا وهو خصم للنقد الكانطي قدم مذهبه الفلسفي الخاص في الميتافيزياء مفعما بروح التوحيد والمدرسية (السكولائية) وكان اهتمامه الاساسي منصبا على علم النفس ولما كان قد اتخذ علم النفس التجريبي اساسا له فانه انشأ مذهبا مثاليا عن "قصدية الظواهر الفعلية".
فالشيء وفق مذهبه لا يوجد الا في قصد الذات أي في انفعالاتها وكان لاراء برنتانو تأثير كبير على (هوسرل)، ويعد احد مؤسسي النظرية المثالية للقيم في الفلسفة النمساوية.
الموسوعة الفلسفية ص ٨٠.

[٢] الاسم الذي يطلق على فلسفة (المدرسية) في العصور الوسطى التي كان اتباعها -المدرسيون- يحاولون ان يقوموا برهانا نظريا للنظرة الدينية العامة للعالم. وكانت المدرسية تعتمد على افكار المدرسة اليونانية افلاطون وبصفة خاصة أرسطو حيث سعت المدرسية الى تكييف آرائها مع اغراضها الخاصة وكان النزاع حول (الكليات) بارزا لدى المدرسية وتنقسم المدرسية تاريخيا الى عدة مراحل:-
-المرحلة المبكرة من القرن التاسع الى الثالث عشر وكانت تحت تأثير (الافلاطونية الجديدة).
-المرحلة الكلاسيكية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر حيث كانت تسودها (الأرسطية المسيحية).
- مرحلة المنازعات بين اللاهوتيين الكاثوليك والبروتستانت التي وقعت في اواخر الفلسفة المدرسية (القرن الخامس عشر والسادس عشر) انعكاسا للصراع الذي شنته الكنيسة الكاثوليكية ضد حركة الاصلاح.

١٦- هوراس مايركالن(١) (١٨٨٣-١٩٦١)

- فيلسوف براجماتي امريكي صهيوني،

- ولد في اسرة دينية من اب

- ولد في المانيا في اسرة دينية من اب حاخام هاجر الى الولايات المتحدة وهو بعد طفل لم يتخط العاشرة من عمره.

- انجز دراسته العليا في الفلسفة واصبح استاذا لها حيث عمل في عدة جامعات.

- يعد اهم مفكر صهيوني اميركي حتى العقد الاول من النصف الثاني من القرن العشرين، وان كان ليس له وزن كبير في الفكر الامريكي الحديث.

تتلمذ على يد كبار فلاسفة البراجماتية وتأثر بافكارهم وقد اعجب بافكار الفيلسوف (وليم جميس) الذي كان صديقا له تتلمذ على يديه وقد تأثر به الى حد جعله يلجأ الى تطبيق فلسفة جيمس (البرجماتية) على موقفه اليهودي خاصة.

وقد اصبح من دعاة مفهوم (التعددية الحضارية) الذي تبناه عن معلمه وليم جيمس ثم سخره لتفسير الحركة الصهيونية على اساسه ومن المعروف ان فيلسوف البراجماتية يعتقد باستحالة أختزال الخبرة الانسانية

- المرحلة المدرسية الجديدة - حيث شهد القرن التاسع عشر فترة توحد المدارس المختلفة للفلسفة الكاثوليكية: (النومادية. الاوغسطينية، الافلاطونية والمدرسة الفرنسيسكانية .. الخ.

راجع الموسوعة الفلسفية ص ٣٥٠.

١- راجع موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٣٠٦ وانظر النصوص الاساسية ص ٣٩٥-٣٩٦.

لكي تأتي مطابقة لطريق واحدة اذ هي تختلف باختلاف التقاليد والعادات والثقافات وهذه كلها تتساوى في حقها بالتعبير عن ذاتها.

-ألف كالن كتابا صهيونيا عنوانه: "الصهيونية والسياسة العالمية".

كرس فصوله لدراسة التاريخ وعلم النفس الاجتماعي (١٩٢١)، اذ اعتبر الصهيونية بمثابة المرحلة المعاصرة للولاء اليهودي للجماعة وثقافتها بدلا من الولاء للدين والمثالية العلمية التي لا مثيل لها في التاريخ الاوربي من ناحية الثبات والديمومة والقوة.

فالصهيونية هي مجرد المرحلة الحالية لمجهود الشعب اليهودي الصاعد في تحقيق الوعد بارض الميعاد.

والكتاب: كفاية عن التاريخ للحركة الصهيونية من وجهة نظر المؤلف العلمانية لانه الحياة اليهودية يجب ان تكون "قومية" و "علمانية" في رأيه وكان يحاول ربطها بالنزعة الليبرالية خلال القرن التاسع عشر وارجاعها الى تفكير (مازيني Mazzini) الليبرالي حول مسألة القومية (الصهيونية والليبرالية) محاضرة عام ١٩١٩.

-له محاضرة بعنوان "الوحدة اليهودية" (١٩٣٣) يؤكد فيها على وجوب تحرر اليهودي من قبل مجموعته وعن طريقها[١].

١-بدأ اهتمامه بـ(الصهيونية) في وقت مبكر وزاول نشاطه في صفوف الحركة عمليا بداية عام ١٩١٤ واصبح بعد فترة وجيزة من انضمامه اليها اسما معروفا في الاوساط اليهودية الامريكية بعد ان اقترن جهده العملي بسلسلة من المقالات والبحوث التنظيرية مؤكدا على ضرورة التوفيق بين

---

[١] راجع نصوص كالن الاساسية -الفكرة الصهيونية- ص ٤٠٢-٤٠٤.

العلم والدين.. وان هذه الثنائية وحدها قادرة على تحقيق الحلم اليهودي المستمر في الزمان والمكان ومن هنا جاءت تأكيداته الفلسفية:

- على اهمية الزمن والتغير والصيرورة والمستقبل.

-واذا كان مايركالن قد رفض الحتمية في أي من اشكالها فانه انما يؤكد الفكرة النيتشوية الخاصة بالارادة التي لا تحدها ايما حدود اجتماعية ام تاريخية، تلك الادارة التي لا يمكن ان تخضع لقانون ولهذا السبب نجده يقع في استقطاب غريب اذ ينتهي الى ان الفردية والصدفة عنصران اساسيان في الطبيعة ولكن اذا كانت الصدفة اساسية في الطبيعة والواقع التاريخي فان الارادة الانسانية تصبح مستحيلة تماما لانه لا يمكن الحصول او الظفر بالحرية ولا يمكن ممارسة الادارة الفردية الا في عالم يسوده حد ادنى من المفعولية أي عالم يتحرك حسب قانون ما.

وما من شك فان مثل هذه التأكيدات على الارادة والصدفة ليس الا محاولة لالغاء التاريخ الذي تحكم حركته قوانين.

كل ذلك يرمي الى تزويد المستوطنين اليهود باساس فلسفي اخلاقي لوجودهم الزائف اللاتاريخي وغير القانوني الذي لا يستند الا الى الارادة الصهيونية المطلقة والى الارادة الامبريالية التي تبنت المشيئة الصهيونية وساندتها[1] ويشير كالن باعجاب شديد الى تعريف وليم جيمس الى ان (البراجماتية فلسفة الريادة)، فالرائد سواء كان (الكاوبوي) الامريكي في البراري، او (الحالوتس) الصهيوني في فلسطين يتعامل مع الواقع على انه مجرد (ارض) او شيء مجرد من القيم الاخلاقية او التاريخية، ولذلك فهو يشهر سلاحه، ويطلق الرصاص، ويحسم الامور بشكل عملي قاطع.

---

[1] راجع موسوعة المفاهيم الصهيونية ص ٢٠٦-٢٠٧.

وهذا بالضبط ما فعله الصهاينة حينما ذهبوا الى ما زعموه وتصوروه انه (ارض بلا شعب). وبلا تاريخ وانشؤوا منها المستوطنات المسلحة. ثم استولوا عليها. تماما كما يستولي رعاة البقر الامريكيون على الارض العذراء بعد اخلائها من سكانها الاصليين الهنود الحمر، عن طريق الابادة والالغاء.[1]

٢. رسم هوراس مايركالن صورة الفلسطيني في المستقبل، كما يجب ان يراها، فقال: "لو حصل اللاجئون على جوازات سفر وغيرها من الوثائق التي تمكنهم من التحرك بحرية، ولو حصلوا على مبلغ كاف من المال ليشقوا طريقهم الى مكان من المتوقع ان يجدوا فيه سبل العيش المعقولة، وقيل لهم ان هذا هو كل ما سيحصلون عليه ولا شيء اخر ابدا ـ لو حدث هذا لبدؤوا عندئذ في الاعتماد على النفس".[2]

٣ـ يرى ان الوحدة اليهودية امر ضروري، لا يمكن الاستغناء عنها، ولكن تحقيقها يجب ان يتناسب وظروف الحياة العصرية. واول شرط من شروط هذه الوحدة هو "توسيع فكرة (الانعتاق)"، أي التقاء اليهود مع بعضهم كيهود من اجل تحقيق الذات والخدمة والدفاع عن النفس؟!

ان اساس هذا اللقاء المشترك يجب ان يكون واسعا لاستيعاب (البرت اينشتين)[3] وكذلك (جيريز ريبي).

---

[1] المصدر السابق ص ٢٠٧.

[2] راجع المسيري ـ الايديولوجية الصهيونية ص ٢٩٨.

[3] حاخام مشهور. وقد ذكره بصفته يمثل النزعة الدينية للارثوذوكس المتطرفة.

و (بني ليونارد)[1] و(ليون تروتسكي)[2] وهوراس كالن[3] كذلك.

يجب ان نفسح مجالا متساويا لجميع الاشخاص الذين يدعون يهودا بصرف النظر عن طبقتهم ومعتقدهم وبلدهم. اما القاسم المشترك لهذا المنبر الجامع فهو الدفاع، انه وحدة العمل جنبا الى جنب.

ـ يجب ان يكون هناك برنامج بناء يشترك فيه كثير من اليهود، هو برنامج الحفاظ على الثقافة والمثل العبرية العليا وتطويرها كمساهمة من اليهود في مادة حضارتنا وهدفها.

ـ وهناك ايضا بناء الوطن اليهودي.

ـ ان شكل هذه الوحدة يجب ان يتفق مع ظروف الحياة العصرية، فقد ولت ايام حارات اليهود الانعزالية، واصبحنا نعيش في عالم المصانع والسيارات والبرق والهاتف والطائرات والمذياع، وفي عالم مثل هذا لا يمكن ايجاد امة لها اكتفاء ذاتي ومنعزلة عن الامم الاخرى.[4]

١٧ ـ بومجارت (١٨٩٠ ـ ١٩٦٣)[5]

ـ فيلسوف يهودي

ـ ولد في المانيا.

ـ انتمى الى الحركة الصهيونية في شبابه المبكر

ـ استاذ الفلسفة في المانيان اسبانيا، بريطانيا، اميركا.

---

[1] بنيامين . ل . ليونارد ولد ١٨٩٦ م، ملاكم وشخصية رياضية مرموقة في اميركا.

[2] ليون . ر . تروتسكي (١٨٧٧ ــ ١٩٤٠) احد قادة الثورة البلشفية في روسيا ومنظم الجيش الاحمر، وهو اشهر من ان يعرف.

[3] اشارة الى نفسه باعتباره يمثل تيارا علمانيا.

[4] ــ كالن ــ الوحدة اليهودية. النصوص الاساسية ص ٤٠٢ ــ ٤٠٣

[5] راجع الموسوعة الفلسفية اليهودية (مصدر سابق)

ـ اظهر تأثيرات ابن ميمون[1] في الفلسفة المغربية

ـ نبه الى اهمية الفلسفة اليهودية، ودورها في اغناء الفكر الاوربي.

١ـ انصرفت فلسفة بومجارت الى معالجة القضية الاخلاقية طبقا لرؤيته الثيوقراطية، ومعتقداته الصهيونية.

ـ المقدمة الاولى في بنائه الفكري تقوم على الطابع الاخلاقي للفلسفة، وان الحكمة تفقد جوهرها الروحي، اذا خرجت على الترتيبات الاخلاقية، وقد اتهم الفلسفة الغربية بأنها جافة ولا حياة فيها، لخروجها على الاخلاق.

ـ اما المقدمة الثانية: فتنهض على قوله (بان الاخلاق ليست فطرية، وانما تتم عبر سلسلة من الانشاءات النفسية، والفعاليات التربوية/ الدينية، البيئية/ الاجتماعية.

٢- سدد نقدا قاسيا لفكريات (كانط) لقوله بان الفطرة اساس الاخلاق.

والنتيجة التي ينتهي اليها بومجارت هي: ان (التنزيل) هو اساس الاخلاق، والتنزيل الذي يعنيه هو (اليهودي) بالذات، ويتفق في ذلك مع (هيردر)[2] الذي اثنى عليه، لانه رد الاخلاق الى وصايا موسى العشر[3].

---

[1] موسى بن ميمون (١١٣٥ ــ ١٢٠٤) فيلسوف عربي يهودي الديانة اشهر من ان يعرف، من ابرز مؤلفاته كتابه الذائع الصيت "دلالة الحائرين". نشره بالعربية الدكتور حسين اتاي / قسم الفلسفة. جامعة انقرة.

[2] هيردر (يوهان جوتفريد ١٧٤٤ – ١٨٠٣)، فيلسوف الماني، من مفكري عصر التنوير، رجل ادب وناقد. درس على كانط، وقد ندد بـ(نقده) للعقل فوضع مقابله (فسلولوجيا) ملكات المعرفة والراي القائم بان اللغة اولية على العقل. طور فكرة التقدم في الطبيعة الى التقدم في التاريخ راجع الموسوعة الفلسفية ص ٥٥٧.

[3] الوصايا العشر: اساس الشريعة اليهودية وقد سميت بالوصايا العشر لانه جاء في (سفر الخروج ٣٤/٢٦) ان موسى كتب على اللوحين كلمات العهد. الكلمات العشر.

راجع الموسوعة الصهيونية ص ٤٢٣ – ٤٢٤.

١٨- مارتن بوبر (١٨٧٨ - ١٩٦٥)

- فيلسوف يهودي ولد في المانيا.
- انضم في العشرين من عمره الى الحركة الصهيونية واصبح احد اعمدتها ورموزها، وتولى عام ١٩٠١ رئاسة تحرير الجريدة الناطقة باسمها.
- انكب على دراسة العهد القديم، دراسة تاملية عميقة انتهى منها الى انشاء تفسير مطول عن مضامين وغايات (التوراة).
- شغلت المسالة الدينية جل اهتمامه، فكرس جهده الفلسفي للبحث المعمق في تفاصيلها ودقائقها.
- انشأ عام ١٩١٦ مجلة (اليهودي)، نشر على صفحاتها سلسلة من المقالات تحت عنوان (فلسفة الحوار)، وكان يرمي من ورائها شرح مواقفه ورؤاه للمسالة اليهودية.
- اثر هجرته الى (تل ابيب) عام ١٩٣٨، اختير استاذا للفلسفة في الجامعة العبرية.
- تولى مع اخرين تأسيس جماعة (ايجود) التي كان على رأس اهتماماتها المطالبة بقيام دولة صهيونية مزدوجة القومية.
- انجز عام ١٩٦٤ بالاشتراك مع الفيلسوف (رونز فايج) الترجمة الالمانية للعهد القديم، الذي استغرق العمل فيه اربعون عاما.
- من بين اهم مؤلفاته:
- الانا والانت.
- من اجل السماء.

- موسى واسرائيل والعالم.
- مختارات صهيونية.
- اختلف مع (هرتزل)، لان صهيونية الاخير سياسية، فيما كان بوبر من رواد الصهيونية الروحية والفرق بينهما، ان السياسة تؤمن بان المسالة اليهودية هي مشكلة الفائض السكاني اليهودي غير القادر على الاندماج، وان معاداة السامية مرض خبيث لاشفاء للمجتمعات الغربية منه، وهو يؤدي الى عدم تكيف وتوافق اليهود في القارة الاوربية ويفرض عليهم ان يظلوا جماعة (قومية)، تعيش كالضيف الثقيل، وكالجسم الغريب، وتتنقل كجماعة من الاشباح من وطن الى وطن، لأنها تفتقد الوطن والارض. ولا يمكن حل هذه المشكلة الا بان يصبح اليهود شعبا مثل كل الشعوب وقومية كباقي القوميات.. ولن ياتي هذا الا عن طريق (تهجير) جماهير اليهود الى (فلسطين) او أي بقعة في اخرى في العالم ليعيشوا في وطن يهودي تحكمه دولة صهيونية تندمج في المجتمع الدولي.

فالمسالة اليهودية، مشكلة سياسية ذات طابع دولي، وستقوم الدولة اليهودية المرتقبة باستيعاب فائض اليهود في العالم، اما الباقون الذين لا يحبذون الهجرة، فانهم سيندمجون في مجتمعاتهم.

- اما الصهيونية الروحية التي يؤمن بها بوبر فترى بان الواجب الاول للحركة الصهيونية يتركز في الايمان العلاج ناجح لمشاكل اليهود الروحية وليش لمشاكلهم الاقتصادية.

وهذا الامر لن يتحقق الا عن طريق تحويل (فلسطين) الى مركز روحي لليهودية او (جيتو) تحفظ اليهودية نفسها فيه من خطر الاندماج الذي يهدد هويتها ووجودها؟!!

١- قيل في فسلفته[1] وحولها الكثير من الآراء فهي تبدو (صوفية مسيحية)، وحينا اخر: (فلسفة حوارية وجودية)، وتظهر مرة ثالثة (اشتراكية انسانية)!

على ان اهم سمات هذه الفلسفة هي تأكيدها على (دور الانسان) وليس (الدولة) لان الانسان هو وسيلة الدولة للانتقال الى (المجتمع الاشتراكي).

على ان بوبر الذي اعد نفسه منذ صباه المبكر لان يكون احد طلائع الفكر الصهيوني، حاول القيام بعمل توفيقي من خلال مزج الاشتراكية بالصهيونية، ووصف الاخيرة بأنها تمثل (طريقا مقدسا).

مثلما لجأ الى خلط الاشتراكية بالصوفية اليهودية، المسماة بـ(الحصيدية)، ويعتقد بان الاخيرة هي (رسالة اليهود المجيدة الى العالم باسره).

اما عن مرجعياته الفكرية، فان بوبر تأثر لـ(نيتشه)، بتأكيده على فكرة (الارادة المستقلة) عن أي حدود او ظروف وهذه الفكرة وان كانت صهيونية المنشأ، الا انها تنبع ايضا من نفس المناخ الاوربي الحضاري ذي الاهداف الامبريالية الذي استولد فكر نيتشه ذاته.

٢- لا يمكن فهم بوبر الا بعد الاحاطة الكاملة بفلسفة (الانا والانت)، او جدليته الحوارية التي اودعها واحدا من اهم مؤلفاته.

فاذا كان الحوار يتم في العادة بين طرفين متكافئين فانه لدى بوبر تجري بين المطلق والنسبي، بين الاله والفرد وفي حالة (اليهود)، فان الحوار بين الشعب وبين الخالق ومن جهة اخرى هذا الحوار الدائر بين (اسرائيل والرب) ياخذ شكل (العهد).

---

[1] راجع (نصوصه الاساسية) – الفكرة الصهيونية ص ٣١٩ – ٣٤١.

فالله (الانت الازلي)، يطلب من اليهود (الانا الازلـــي) ان تصبـح امــة مقدسة، مملكة من الكهنة، والله هو الملك الوحيد لها.

وفي عموم هذه الخطرات اللاجدلية، يعود بوبر الـــى اسـتعادة الرؤيـة اليهودية القديمة المتعلقة بمركزية اليهود في العالم والتاريخ ونلاحظ هنـا: انه قد حول التجربة الدينية الجدلية الى تجربة (حوارية) بين طرفين يراهما - متعادلين - وهذا التعادل يصبح ممكنا، بسـبب (حلـول) الخـالق فـي المخلوق طبقا للتصور الماشيحاني.

وبسبب اختلاط (الوحي) بـ(التاريخ) يجرد مارتن بوبر التجربـة مـن فرديتها، ويحولها الى تجربة (قومية) جماعية.

وهنا يكمن الخروج من الجدل الى اللاجدل ومن التاريخ الى اللاتاريخ.

لان الحوار الذي افترضه يصبح بالضرورة احد الطرفين فيه اقوى مـن الاخر، فيحول مقابلة في الحوار الى (موضوع) او (اداة)، او مجرد (شيء) يستخدمه، ويستغله لتنفيذ اغراضه.

وفي هذه الحالة يتحول حوار (الانا والانت) الـى علاقـة بيـن (الانـا) و(الهو) او بين (الذات) و(الموضوع). وهي علاقة تثمر عن معرفة علميـة موضوعية ولكنها ليست كافية. حيث الله هو (الانا الازلي)، ونحن لا يمكـن ان نعرفه عبر علاقة من نوع (الانا والهو).

٣- اما على صعيد تطبيق حواريته بين المطلق والنسبي، فانه يضيـع المسالة على النحو الاتي:

(ولان شعب اسرائيل مقدس، فالوحي مستمر معـه منـذ الازل، وامـة اسرائيل لذلك امة ازلية من - الانا الازلي - وهذا الحوار الازلي يشمل كـل نواحي حياتها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية...

وان هذا التعبير يمكن ان يصل الى اقصى غاياته، عندما يتكافل المجتمع اليهودي، أي عندما يكون الشعب على ارضه.. بسبب الرابطة المقدسة، ولذلك فان لهذه الامة المقدسة.

ولذلك فان لهذه الامة المقدسة، دورها الفريد في الحضارة العالمية طبقا لشخصيتها المميزة، المفارقة لشخصية الامم الاخرى، عبر امتيازها الروحي وتاريخها المقدس فما تتلقاه من (وحي) يقوم بترجمته الى تاريخ.

لذلك فان تاريخها وحي منزل ودلالة هذا التاريخ اخلاقية مطلعة الامر الذي يجعل ارادة اليهود من ارادة الرب وقد شاء الاله ان يعيد اليهم الارض، وليس ادل على وجود الله من تحقيق ما وعد به هذه الامة، فقد (وعدها) بالارض واوفى بما وعد به شعبه المقدس؟!!

ملاحظات:

١ـ تكشف حوارية (الانا والانت) تخلي بوبر عن العقلانية حتى في ابسط صورها العلمية والموضوعية، في مقابل لجوئه الى تحليلات ذاتية، ذات طباع لاهوتي محض، تدور في مجملها حول معنى القداسة الناسوتية.

ولا يهمه ضمن (الكمال الالهي) الذي يميز الخالق عن مخلوقاته قدر اهتمامه بجوهر المسألة اليهودية.

اذ جعل امكانية مشاركة (الكائن اليهودي) في قداسة (الرب) ويقاسمه (الكمال) ايضا. بل ان القداسة تأخذ طابعا مسرفا في تصوراته وتأويلاته فهي ليست اخلاقية بصفة دائمة.

فاذا كانت القداسة هي الصفة الالهية التي تفصل الرب المطلق عما هو غير مقدس (الزمني) فان (اليهود) قد اكتسبوا نفس القداسة حينما عقد الاله العهد معهم.

وعلى ذلك يمكن ان نعيد ترجمة الشعار الصهيوني المعروف الى (ارض مقدسة بلا ارض مقدسة) الى (شعب مقدس بلا ارض مقدسة)، لان الفلسطينيين يقطنون الارض المقدسة ولكنهم ليسوا مقدسين وانما هم انسانيون مثل بقية البشر. وبسبب قداسة الارض كما يفهمها بوبر والمقدسون من الصهاينة امكن لـ(مناحيم بيجن) من قبل و(نتنياهو) و (ايهود براك) ان يتحدث كل منهم بحماسة لا نظير ليقينها عن عدم التنازل عن شبر واحد من الارض التي لا يمتلك تاريخيا أي شبر منها وامكن لحركة الصهيونية ان تتحدث عن استقطاع فلسطين واحتلالها على انه (استقلال ماسرائيل) وان (القدس) هي عاصمة الدولة المقدسة التي يرفض الاسرائيليون منافسة مصيرها لان ما هو (مقدس) – ازلي مطلق- لا يمكن ان يقبل أي نقاش ولا يجوز ان يجري بشأنه أي تفاوض.

٢ـ يؤكد بوبر واحدة من المقاولات الثيوقراطية القائلة لـ(وحدة الشعب اليهودي) منذ ان اخرجوا من مصر ايام فرعون وانهم حافظو على وحدتهم عبر تاريخهم وفي كل مكان حلوا فيه وهو هنا يتبع الصهاينة الدينين الذين يعتقدون ان مصدر (الوحدة) هو حلول الروح الالهية في (الشعب اليهودي) فهي تقطن وسطهم وهي التي تحولهم الى شعب من الكهنة والقديسين.

٣ـ يعيد بوبر القول بـ(استمرار الوحي) ويؤكد على تقاليد (النبوة المفتوحة) التي تؤكد فكرة (الحلول) اليهودية والتدخل الزمني والمطلق.

فالإله اليهودي يحل في (الشعب) ولا يتركهم احرارا في التاريخ بل يفيض عليهم دائما في كل زمان ومكان ولذلك فكلماتهم الزمنية لها من القداسة ما لكلمات الرب المقدسة والشريعة الشفوية متسقة بنيويا مع مفاهيم مثل تقاليد النبوة المستمرة وتعد (الانبياء) فكرة الحوار التي اشار

اليها بوبر بين الرب والشعب، كلها افكار حلولية تفترض توحد الخالق بالمخلوق والازلي بالتاريخ.

٤ــ ولأن اليهودي مقدس فهو مفارق من بين البشر مما يترتب على امتيازه الروحي مسؤولية اخلاقية تجاه العالم فلا بد ان ينهض بدوره الرسالي وتعبيرا عن هذا الاعتقاد تصبح مهمة اليهودي (مقدسة) لأنه يحمل رسالة مجيدة.

٥ــ لعل بوبر الذي استغرقته حماسة لاهوتية – قبالية خلط الوجودية بالصهيونية والحصيدية فجعل فلسفة الحوار اطارا للافكار الدينية التي تنتهي الى تداخل لاعلمي لاجدلي نحو:

-القومي بالديني.

-الزمني بالمقدس.

-النسبي بالمطلق.

-المخلوق بالخالق.

-الوحي بالتاريخ.

ولم تكن (التداخلات) الزائفة التي عهد اليها بوبر الصفحة المنتهية في سلم تناقضاته .. اذ زاد عليها عندما اختار ان يتنازل مرة تلو المرة عن العقلانية والعلمية والتاريخية حين لجأ الى اعلاء شأن الميثولوجيا التوراتية في مقابل مصادرة بديهيات العقل وقوانين الواقع واهمال التاريخ واصبحت الفلسفة عنده تعني شيئا واحدا هو "القداسة العرقية".

٦ــ والتجربة الدينية الجماعية التي دعا اليها بوبر تسقط فكرة المسؤولية الخلقية امام الشر والعدوان لان المسؤولية الخلقية مسألة فردية بالدرجة الاولى اما المسؤولية الجماعية فهي تريح الفرد من اية اعباء نفسية تنجم عن ارتكابه الشر (كعضو في جماعة) ولعل هذا كما يقول

المفكر عبد الوهاب المسيري[1] يفسر كيف تمكن بوبر من المنـــاداة بدولـــة يهودية على اساس اخلاقي يعترف بحقوق العرب ولكنه في الوقت ذاته كان يقيم في بيت عربي سلب من اصحابه وقد ذاع صيت بوبر وانتشرت افكاره الصهيونية الحوارية، لانه زود الدولة الصهيونية الفريدة باساس صوفـــي لوجودها لا يمكن لاحد مناقشته او حتى الطغى فيه (فالارض كمـــا يقـــول الفيلسوف الصهيوني (فالارض كما يقول الفيلسوف الصـــهيوني (هـــي الله يعطيها لمن يشاء، وقد شاء في القرن العشرين ان يعيدها لليهود - اقـــدر الناس على فهم مشيئة والاستجابة لوحيه فهم في حوار لا ينقطع مع الذات الازلية منذ فجر التاريخ وروحهم من روح الله".

١٩ـ أشعيا برلين (١٩٠٩ـ١٩٧٠)[2]

١ــ اشتهر بمؤلفه الذائع "كارل ماركس" الذي اصدره عـــام ١٩٣٩ .. وعقب مرور عشرين عاما نشر كتابه الاخر "موسى هس" ..

٢ــ اراد ان ينبه الى الشيء المشترك بين المفكرين (مـــاركس وهـــس) وهو عبقريتهما اليهودية على حد قوله التي كثيرا ما يشير اليها،ويؤكدهـــا في كتاباته .. حيث ينتقل في قياساته المنطقية الصورية للعبقرية.

من الخاص الى العام ومن الفرد الى الجماعة ليدلل على ان (اســـرائيل) تعد حقيقة بينة لا (تجاوز غير التقليدي) الذي هو تمام العبقرية اليهودية.

٣ــ ان جملة النصوص المتوفرة عن اعماله تكشـــف عـــن صهيونيـــة جديدة اخرى يمكن وصفها بالمحدثة وان كانت تشترك مع انماط الصهيونات الاخرى او تزيد عليها بصفة خاصة، منهجه المتميز الذي يحاول منه عقلنة

---

[1] راجع المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية بتفصيل ص ١٠٩-١١٠.

٢ حول سيرته وافكاره ومواقفه .. راجع الموسوعة الفلسفية اليهودية (مصدر سابق)

(الاسطورة) وتعليل (الخرافة) بطريقة تؤدي فيه وظيفة (قومية)؟! لدعم الادعاءات الصهيونية وتبرير مطاليبها اللاشرعية في فلسطين والصهيونية المحدثة التي يتبناها والتي يمكن تسميتها بـ(الذرائعية) الجديدة تشيع في مجمل كتاباته الفلسفية والسياسية على حد سواء دون ان يدرك بان الكثير منها يفتقد الدليل ولا يقوم على حجة اوبرهان مما يجعل بعض اعتماداته الفكرية اقرب ما تكون الى الانشاءات الصحفية الربعة التي لا تخلو من الاغاليط والتناقض والدعاوى العائمة.

٤ـ فمنهجه الفكري يكشف ميله الاصيل للصهيونية نظرية وسلوكا وتطبيقا ويؤكد في الوقت نفسه تناقضه الصريح بين (القول والعمل) فهو من جهة يرفض الحتمية التاريخية في كتابه (اوجست كونت ١٩٦٤) ومن جهة ثانية يدعو في مؤلفاته (مفهومان ١٩٥٨) الى تبني النمط الغربي للحرية .. فيما يشير كتابه (مقالات في الحرية ١٩٦٩) الى اعتماده سلسلة من المقولات الفلسفية مفعمة بالذرائعية.

فالنمط الشيوعي حسب رأيه مضاد للانسان ولحرية ارادته واختياراته لكنه من ناحية اخرى لم يجد ما يثير قلقه ازاء التناقض الذي اوقع نفسه فيه.

فمن دعوة ليبرالية متفتحة الى نقيضها تماما وهو ما فعله على وجه التحديد حين طالب بـ(طرد) العرب وبناء مزيد من المستوطنات في الارض المحررة؟!!

٥ـ واذا كانت فلسفة برلين تقوم في (الظاهر) على فكريات تبدو مستقلة عن البنية الاسطورية للحركة الصهيونية بوصفها فلسفة فاشية استعلائية فان تأييده لـ(اسرائيل) وحماسته العاطفية لمشروعها الاستيطاني يكشف

مرة اخرى عن عيب فاضح في هويته الفكرية حيث يبدو التناقض واضحا بين النظرية وتطبيقاتها وتنفصل الكلمة عن الواقع.

٦ـ ومثل هذا التضاد لدى الفيلسوف ينصرف ايضا في اطروحته النقدية اللاذعة لماركس التي استثمرها لاغراض شوفينيه وهي الزعم بـ(العبقرية اليهودية)؟!!

ولم يشأ برلين ان تفوته فرصة المساهمة في اعداد وتنظيم رسائل "حاييم وايزمان ١٨٦٤-١٩٥٢) بل انتدب نفسه وبادر بهذه المهمة متطوعا فشرع بنشرها في سلسلة من المجلدات ايمانا منه بان وايزمان المحارب العنيد من اجل الوطن انجز شيئا عظيما لم يتمكن (موسى) نفسه من تحقيق شيء منه لان هذا (النبي) قد مات قبل ان يصل الى (ارض الميعاد)..

اما النبي الجديد (حاييم وايزمان)[1] فقد وصل بالفعل الى الارض المقدسة؟!!

---

[1] حاييم وايزمان (١٨٧٤-١٩٥٢!) كيميائي، وزعيم صهيوني، اول رئيس لـ(دولة اسرائيل)؟ ولد في(موتيل) بالقرب من(بنسك) في روسيا. درس الكيمياء في الجامعات الالمانية والسويسرية وفي العام ١٩٠٤ عين محاضرا في الكيمياء البيولوجية في(مانشستر) واصبح في العام ١٩١٦! مديرا للمختبرات الكيمياوية التابعة للبحرية البريطانية قبل الحرب العالمية الاولى.

ترعرع وايزمان في جو جمعية (محبة صهيون) التي تأسست في روسيا ١٨٨٢، وتأثر بحركة نشر الثقافة الاوربية بين اليهود والتي عرفت باسم(هاسكلاه). كما ارتبط منذ نشأته بحركة(هرتزل) الصهيونية، وانضم الى المجموعة الديمقراطية، انتقد وايزمن نهج هرتزل الدبلوماسي، ودعا الى تنمية الوعي الصهيوني،... دعا الى انشاء جامعة عبرية عام ١٩٠٢ وفي العام ١٩٠٣ عارض مشروع توظيف اليهود في (اوغندة) واصبح بالتالي زعيم (الصهيونية التجميعية) وقد عبر عن هذه النظرة بوضوح عام ١٩٠٧ انتقل وايزمن الى مرتبة القيادة السياسية للحركة الصهيونية واصبح رئيسا (للجنة لندن).

وقد كان لشخصيته واسلوبه في الاقناع ومقدرته الذرائعية المختالة على ارضاء عدة مصالح مختلفة في وقت واحد تاثير كبير في كسب تاييد (بلفور وسكوت ولوير جورج، وبرليز فورد)

٢٠- ارنست بلوخ[١]- (١٨٨٥-١٩٧٦).

ــ فيلسوف الماني يهودي.

ــ ولد في (لود فيغشافن) سنة ١٨٨٥.

وهكذا نجح في الحصول على وعد بلفور في ١٩١٧/١١/٢ وفي نفس العام تم وضع حجر الاساس للجامعة العبرية في القدس وكان يشغل منصب رئيس مجلس الامناء فيها عندما افتتحها اللورد بلفور عام ١٩٢٥.

وفي العام ١٩١٩ مثل الحركة الصهيونية في مؤتمر السلام وقد وافق المؤتمر على مطالبه من اجل انشاء (وطن قومي) لليهود في فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

ووفق مجلس عصبته الامم في اب ١٩٢٢ على جعل بريطانيا دولة منتدبة على فلسطين.

في العام ١٩٢٠ عقد وايزمن مؤتمر صهيونيا في لندن لتعبئة الامكانات والموارد من اجل عمل صهيوني اكثر فاعلية في فلسطين وقد نجم عن هذا المؤتمر انتخابه رئيسا للمنظمة الصهيونية حتى عام ١٩٣٠ ومن العام ١٩٣٥ حتى العام ١٩٤٦.

وفي العام ١٩٢٩ اصبح وايزمن رئيسا للوكالة اليهودية في فلسطين واستمر في ثقته ببريطانيا وفي توجهه مجهودات اليهود لدعم التاج البريطاني في الحرب العالمية الثانية وحين تحول النشاط الصهيوني بعد الحرب الى العمل الفعلي لاقامة الدولة تنحى وايزمن عن رئاسة المنظمة الصهيونية وعاش في (رحوفوت) حيث ساهم في تأسيس |(معهد وايزمن) وفي ذات العام عرض وايزمن وجهة النظر اليهودية على البعثة الامريكية – البريطانية، وحث على انشاء دولتين واحدة عربية واخرى يهودية.

وفي العام ١٩٤٧ طالب بعثة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين بالتقسيم وعرض طلبه على الجمعية العامة للامم المتحدة في نيويورك.

وفي عام ١٩٤٨ وبعد انشاء الكيان الصهيوني (اسرائيل؟) انتخب كاول رئيس لها ولكنه لم يساهم فعليا في الحكم بسبب سواء صحته.

-له عدة اختراعات كيمياوية واصدر مذكراته بعنوان "التجربة والخطأ" هذا عدا جملة من الخطب والافكار والمقاولات والتي تلتقي جميعها حول فكرة الدولة المنتظرة وتوصيف وسائل عمل واليات تحقيقها.

راجع: النصوص الاساسية (الفكرة الصهيونية) ص ٤٤٣-٤٤٤.

[١] راجع ارنست بلوخ (فلسفة عصر النهضة) – الطبعة العربية، دار الحقيقة، بيروت ١٩٨٠ ص٥ وانظر الموسوعة الفلسفية اليهودية (مصدر سابق).

ـ درس الفلسفة والفيزياء ونال الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٠٨.

ـ عمل في الكتابة والصحافة.

ـ سافر الى سويسرا، واقام في (برن) ١٩١٥، انخرط في حركة الســـلام.

ثم عاد الى المانيا واقام في برلين ١٩١٨، حيث شارك في تحرير صحيفتين واصدر كتابه الاول:

(توماس منتسر: لاهوتي الثورة) ١٩٢١.

ـ هاجر في ١٩٣٣ واستقر في (براغ) ليشارك في تحرير مجلة المانية في المنفى.

ـ هاجر ثانية الى الولايات المتحدة (١٩٣٨) ليساهم في تأسيس دار النشر الالمانية، وعمل في مجلة (المانيا الحرة).

ـ عند عودته الى المانيا ١٩٤٦ عين استاذا لتأريخ الفلسفة ومديرا للمعهد الفلسفي في جامعة لايبزك.

ـ نال جائزة الدولة لجمهورية المانيا الديمقراطية.

ـ اعفي من وظائفه الأكاديمية ١٩٥٥.

ـ اختير استاذا للفلسفة في جامعة (توبنجن) بألمانيا الاتحادية ١٩٦١.

ـ نال جائزة السلام لأصحاب المكتبات الألمان ١٩٦٢.

ـ مؤلفاته:

-لاهوتي الثورة ١٩٢١.

-ميراث هذا الزمن ١٩٣٥.

-الحرية والنظام (دراسة عن اليوتوبيات الاجتماعية) ١٩٤٦.

-الذات -الموضوع (تعليقات على هيجل) ١٩٥١.

-ابن سينا واليسار الأرسطي ١٩٥٢.

-المبدأ الامل.

يعد اشهر واكبر مؤلفاته:

الجزء الاول ١٩٥٤

الجزء الثاني ١٩٥٥

الجزء الثالث ١٩٦١

-الحق الطبيعي والكرامة الانسانية ١٩٦١.

-اعماله الكاملة تقع في (١٦) مجلدا (١٩٦٢).

-اغتراب ---- جزءان.

-مدخل ومقدمات فلسفية جزءان ١٩٦٢-١٩٦٤.

-الالحاد والمسيحية ١٩٦٨.

-قراءات في فلسفة النهضة ١٩٧٤.

-ترجمت بعض مؤلفاته إلى العربية من بينها (المبدأ – الامل) و (فلسفة النهضة).

كما ترجمت مؤلفاته إلى العديد من اللغات بصفة خاصة الفرنسية (لاهوتي الثورة) (المبدأ الامل) (الحق الطبيعي والكرامة الانسانية) (فلسفة النهضة).

١-اعتنق (الماركسية) وحاول تجديدها عبر نزعته (الرومانسية) المثالية.

وقد وصفا ماركسيته من قبل النقاد "بأنها مفعمة بالقيم الانسانية لأنها تحمل دعوة متفائلة بالمستقبل السعيد لبني البشر".

من جانبه يصف الفيلسوف الالماني بلوخ مشروعه بأنه "مشروع الامل".

وان غاية الفلسفة عنده كما لدى ماركس، هي: المعرفة ولكنها معرفة ثورية، تدفع صاحبها إلى التمرد على واقعه، وتعمل على تغييره نحو الافضل على طريق الحرية.

٢ـ مثل هذه الرؤية السعيدة ذات الايقاع الرومانسي، لا تقتصر على بلوخ وحدة، وانما تفيض بها التصورات (الماشيحانية) في التراث اليهودي القديم والحديث معا، وعلى حد سواء.

٣ـ عبر كتابة (المبدأ ـ الامل ١٩٥٤ ـ ١٩٦١) يفرد بلوخ فصلا مستقلا لنقد صهيونية هرتزل، بوصفها فكرة بورجوازية، ولأنها دعوة قومية ضيقة، تخاطب اليهود، ونهمل الاخرين، وتطالب بأرض ودولة. بينما اليهودية التي يؤمن بها بلوخ حسب زعمه اكبر من ذلك، لان (العلم جوهرها ومواطنها)؟!!

وطبقا لذلك فانه يوثق فلسفته التي يدعو اليها بـ (موسى هس)، حيث يستمد من (طوبا ويته) افضل ما فيها، فيعيد صياغتها الفلسفية، بحيث تتحول لديه إلى (اشتراكية مشيحانية دولية)!

ولم يشأ بلوخ ان يذكر أي شيء، في هذا الفصل عن (اسرائيل)، ولكن عندما شن الكيان الصهيوني حرب الايام الستة في حزيران ١٩٦٧، كان بلوخ قد تغافل عن نداءاته الاممية، وتناسى نقده اللاذع للصهيونية السياسية، وبدأ صوته يرتفع هذه المرة، .. وكان اول المتحدثين واعنفهم هجوما على العرب في الاجتماع الذي عقدته جامعة فرانكفورت والذي كرس لمؤازرة تل ابيب عشية الخامس من حزيران، وقال في هذه المناسبة مقولة شاع استخدامها وترديدها على اللسان الصهيوني فيما بعد وهي ".. ان اسرائيل وجدت لتبقى"!

ويبدو من السهل واليسر حتى على فيلسوف كبلوخ الذي نأى عن تراثه الشوفيني طويلا ولكنه كان مستعداً ان يغير جلده وذاكرته وعقيدته

السياسية على التو، في اللحظة التي تقاطع فيها الوعي الـــــهابط بمنـهجــه التقدمي الماركسي ذي الطابع الاممي؟!![1]

[1] راجع الحفني ــ الموسوعة الفلسفية اليهودية . ط القاهرة الاولى.

الملاحظات والنتائج

اولا ـ الملاحظات الاساسية:

١. اولى الفلاسفة اليهود الاهمية الكبرى للغايـــة (القوميــة): والاهداف العليا للمستقبل. بغض النظر عن اية مفارقات او تناقضـــات بين (مثالية الفكرة) و (جدلية الواقع).

فعندما يعلن هؤلاء ولاءهم لمبادئ العلم وشروط التفكـــير العقلانـــي السديد، فإن اغلبهم لم يجد ايما غضاضة في تبني اعتمادات لاهوتيـــة او اساطير تلمودية نحو:

ـ رسالة الشعب المجيدة.

ـ ارض الميعاد.

ـ الوعد الالهي.

ـ العصر الماشيحاني.

ويجري توظيف ذلك كله في مشروع الاعداد والتربية والتعبئـــة دون التفات الى المأزق المنهجي بين الفلسفة والاساطير. حتى ليظن القـــارئ بأن النقائض الفكرية انما تمثل صفة لازمة لهؤلاء الفلاسفة الذيـــن لـــم يتردد غالبيتهم في وضع المتقابلات في خط نظري واحـــد، وباســـتقامة واحدة:

ـ العقل ـ الاسطورة.

الاله ـ الانسان.

العلم ـ الخرافة.

الذئب ـ الحمل.

الوردة ـ الرصاصة.

الحلم ـ الواقع.

.. ولا نهاية لما قد يقال عن (الجدليات الزائفة) التي يحفل بها النصوص الفلسفية اليهودية الحديثة والمعاصرة وسلسلة مغالطاتها اللا تأريخية. والخلط العجيب بين الفيزياء والميتافيزياء بين المطلق المتعالي، والجزئي النسبي (اللامرئي والمرئي).

وقد تتحول المقولات الفلسفية لدى هؤلاء المفكرين الى وسيلة لخدمة الايديولوجية العرقية، فقد تستحيل الحكمة الى:

ـ شعار

ـ قصيدة

ـ رواية

ـ مقالة

.. ففي كتابه (المتمرد) THE REVOLT يقلب (مناحيم بيحين) ـ مضمون الكوجيتو الديكارتي الى: "انا اقتل اذن انا موجود"؟!

بدلا من "انا افكر اذن انا موجود".

.. ومثل هذا الاصطناع لجأ اليه يوسف بوبر واحد هعام وغيرها، ايمانا من هؤلاء بمبدأ حشد جبهة الفكر بكل ما يمنح معركتها قوة مستديمة متنامية، لذلك ليس من الغريب ان يجري اختزال الحقائق وتجريد الوقائع، وابتداع المفاهيم، والاتكاء على المطلقات الاسطورية وفرض تأكيدات الايديولوجية الصهيونية نحو (الارض المقدسة) و (السوبرمان اليهودي). في مقابل اعداد الخطط وتنظيم الخطوات العملية الاجرائية. (فالحلم التوراتي ـ المطلق ـ يتطلب:

ـ فكرة يلتقي حولها (اليهود).

ـ حركة منظمة ذات غاية محددة، واهداف واضحة.

تليها الخطوة الثالثة:

ـ اقامة "الدولة" ـ ارض الوعد الالهي؟!!

اذن ارض الميعاد (الحلم) ـ الميتافيزيائي ـ من المحال تحقيقه بـ (التمنيات والدعوات) .. ولكن من الممكن ايضا اقامته على الارض بشرط ـ الحركة ـ أي النضال المنظم عبر سلسلة متراصة من الاجراءات العملية المتماسكة، المتوالية الحلقات تحدد نقطة البدء وتديم في ذات الوقت الزخم صوب المراحل اللاحقة.

وعليه رفع هؤلاء الفلاسفة شعارا مقدسا التفوا حوله هو "كل شيء من اجلك يا اسرائيل".

واصبح (الفقه الوحيد) للعقل الفلسفي اليهودي الحديث والمعاصر.

٢ـ ثمة ملاحظة تثير الاهتمام، فالفيلسوف اليهودي كرس فكره ووعيه لقضية واحدة هي (القضية اليهودية)، وعد ذلك فرضا واجبا عليه.

الامر الاخر، لم تقتصر مهمته (القومية)؟! على محض التنظيرات الفكرية، بل قد يسند لنفسه ادوارا اخرى (عملية) ايضا حسب مقتضيات الزمان والمكان والغايات التي يسعى اليها او الاهداف التي يكلف بتحقيقها، فقد يكون الى جوار كونه يتعاطى علوم الحكمة ونظرياتها، خطيبا، داعية، مبشرا، عاملا، مزارعا، مقاتلا.

.. ولا يتخلى عن مسؤوليته تجاه معتقداته الاساسية، بأن يشق الطريق من بعده للآتين، وان الدرس المستنبط الذي يمكن ان نضعه امام مفكري الامة وقادة التنوير والمثقفين هو ان هؤلاء المفكرين من اليهود كانوا على الدوام يستعذبون مغامرة العمل ومشاق الدعوة دون ان تلهيهم عن اهدافهم تجارة أو بيع او شراء. او اهتمامات شخصية بليدة.

.. ولعل الدرس الذي يقدمه عدونا التاريخي هو ايثار هؤلاء الشأن العام على الخاص، و (الجماعة) على الفرد.

والقضية (الصهيونية) على الافكار الذاتية. واعتبار (اليهودية) مركز الكون ودائرة الاهتمام. التي تحظى لديهم بالاولوية على ما عداها، بوصفها تمثل المصالح العليا؟!

٣ـ ثمة اصرار مثالي مفرط بالغ الخيال والسذاجة يجعل العقل الفلسفي اليهودي يواصل عملية تأصيل فكرياته تاريخيا، قصد اضفاء قدر من التبريرية على وجوده وتجربته، فهو يدفع سلسلة من الدعاوى والانشاءات الحضارية الزائفة التي توهم بانها أي (اليهودية) تجربة فريدة من حيث جذورها، وتاريخها ومعطياتها، وانها (المثل الاعلى) لأي تطور انساني؟! من خلال (عبقريتها) المتوهجة!

٤ـ ولعل في مقدمة سقطات الفكر الفلسفي اليهودي الحديث والمعاصر هو تبنيه المقولات العينبية، ومحاولة تنظير الميثولوجيا الصهيونية، نحو الادعاء بـ (نخبوية) اليهود والتمسك بأسطورة التفوق العرقي، وان امة التوراة، اصطفتها العناية الالهية، فجعلها الرب على رأس السلم الاثني والحضاري، واودع بين يديها رسالة الهية مجيدة.. بوصفها مجموعة قومية دينية؟!! تتمتع بمواهب خارقة وان ابناءها يتميزون بنباهة عقلية لا نظير لها.. وان الدليل على القدرة الذاتية لليهود، التي لا حدود لشجاعتها،.. بأنهم عبروا عن ذلك كله في يقظتهم وصمودهم، وصبرهم في مواجهة حروب الابتلاع والاندماج والابادة التي قادها (الاغيار) الاشرار ضدهم طوال الحقب التاريخية.

وما صراعهم ضد ـ العرب ـ الا برهانا عمليا اضافيا على مقاومتهم الفريدة تجاه تهديدات الانفجار والانطفاء والغرق في البحر العربي الكبير.

كل هذه الدعاوى اللاعقلانية، يسوقها اغلب فلاسفة اليهودية، الذين اسرفوا في تأويلاتهم اللامنطقية، المفارقة للواقع التاريخي المتعين، فحاولوا تضليل العالم بزعم الأصالة اليهودية التي تصل جذورها الى بدايات الخليقة.

٥ـ يثق منظرو الحركة الصهيونية بأن اليهودية في كل مراحلها، تمثل تجربة (لامكانية) فريدة الطراز، ليس بالمعنى الجغرافي الفيزيائي، بل بالمعنى الروحي ـ المثالي ـ وقد نجم عن هذا الاعتقاد الغيبي اللاتأريخي، ان اليهود حملة رسالة روحية مجيدة.

٦ـ انتهى الفكر الفلسفي ذو الطابع الصهيوني الى اقرار المقولات العينبية الاتية:

ـ عصمة المطلقات النظرية وقداسة مراميها واهدافها، دون اعتبار لمحددات الزمان والمكان، فضلا عن عدها حقائق قبلية ثابتة.

ـ الايمان بالعصر الماشيحاني، وبنهاية التاريخ، وبفكرة الخلاص، على نحو غيبي لا جدلي.

ـ تبني فكرة المدينة الفاضلة في اطار عرقي ضيق، يلغي رحابتها الانسانية، ويحولها الى (دولة يهودية) قائمة بذاتها، سيدة على العالمين.

ـ تجاهل الاخرين اصحاب الحق والارض والتاريخ، وعدم الاعتراف بـ (فلسطين) شعبا وتاريخا، ارضا وتراثا.. واعتبارهم (اغيارا) دخلاء، يتعين انتزاعهم بـ (القوة)، وان تطلب الامر ابادتهم بالكامل. وان مقولة

(انا اقتل اذن انا موجود) التي اطلقها مناحيم بيجن في كتابه الشهير (المتمرد)، ليست الا واحدة من بديهيات ومشهورات الفكر الصهيوني، التي لا تزال تمارس عمليا على ارض فلسطين.. ولعل المذابح المستمرة والمتواصلة على نحو جماعي ضد العرب ابلغ مثال على بربرية الحركة الصهيونية.

٧ـ طبقا لميثولوجيا (اخرة الايام)، و(انتظار المخلص) و(العناية الالهية) و(استمرار النبوة) و(الامة المقدسة) و(ارض الميعاد) و(الرسالة الروحية) الى غيرها من الغيبيات الاسطورية، فثمة مبدأ (الحلول) الذي يعد جوهر الفكر الديني من خلال عملية المزج بين (الشعب والارض والخالق).

ولتأكيد تقاليد (النبوة المفتوحة) وهو ما يميز اليهودية التقليدية – الحيدية– على وجه خاص.

وقد تبنى الفكر الفلسفي اليهودي الكثير من هذه الدعاوى والاباطيل ودافع عن ثنائية (اللاهوت والحكمة) بوصفهما يقفان معا على خط واحد يكمل احدهما الاخر فالعقل والايمان يظهران اليهودي كائنا مؤلها امتدادا للرب على الارض بمعنى اضفاء القداسة على اليهودي واعتبار الرب مشاركا لهذا الكائن لان اليهودية صفة تستغرق الاله والانسان معا.

ان انصراف القداسة على هذا النحو امر يجعل الفلسفة اليهودية امام مأزق جدي بسبب تبنيها للمقولات اللاعقلانية حيث يصبح فيها (المطلق) نسبيا والكائن الفرد مطلقا؟!

الامر الذي يقضي بالضرورة الى تأكيد مبدأ الحلول في صورته البدائية.

فحين يحل (الله) في الموجودات الكونية المادية ينجم عن هذا الحلول ان يصبح الله والانسان في مرتبة واحدة وكأنها من طبيعة واحدة فينتج عن هذه الوحدة (المصطفة) ان يفقد (الاله) سموه ووجوده كمثل اعلى اذ يهبط الى مستوى المادة الفيزيائية في مقابل ارتقاء الكائن البشري متعاليا عن حدوده المادية في الزمان والمكان فيصبح (مؤلها).

٨-عبر ثيوقراطية التراث التوراتي ينهض (الكهنة الحاخامات، الاحبار) بعبء الرسالة المجيدة .. بوصفها سادة العالم ومستودع المثل العليا ومواطن القداسات الكلية.

فالروحانيون اليهود هم الاوصياء على الشرعية الموسوية والوسطاء بين الارض والسماء.

٩-ليس ثمة من ثبات مقيم في سلم القيم الاخلاقية العامة وبينية كانت ام وضعية فالاصل في الفكر الصهيوني هو السعي الحثيث لالتقاط الثمار -النتائج العلمية- والمنافع المباشرة بغض النظر عن ماهية الوسائل او طبيعة الاساليب مهما كانت واطئة او ذميمة فالغاية اولا وقبل أي اعتبار تبرر اللجوء الى اية وسيلة مفاهه اخلاقية ام غير اخلاقية ذلك ان الصهيونية بمختلف مدارسها وتياراتها قد قامت في الاصل تاريخيا وموضوعيا على اساس ذرائعية محضة .. وان الصهيونية ودولتها العنصرية منذ البدء وحتى اللحظة الراهنة تواصل توكيداتها اللااخلاقية بالكلمة والفكرة والحركة والرصاص بانها لم تتخل عن هذا النهج الذي يحض على الدوام على ضرورة (الغاية) وقداسة الاهداف بصرف النظر عن الوسيلة مهما كانت وضيعة او مبتذلة.

١٠-ان المركبات الفلسفية للايديولوجية الصهيونية لاتزال تدور حول نفسها او بعبارة اخرى انها تواصل تكرار اعتماداتها النظرية

اللاعقلية بصفة تقليدية أي انها لم تتمكن حتى الان من مصالحة الطبيعة او المطابقة مع الواقع نحو مقولات:

-الامة الروحية المتميزة.

-التفوق اليهودي والامتياز الروحي.

-يقينيات دينية تتعلق بفكرة ازلية العداء للسامية؟!

-اليهودية قومية دينية.

-شعب الله المختار الذي ادخرته العناية الالهية لتنظيم العالم واعادة بناء الحضارة؟!! طبقا لتوصيات عرقية معدة سلفا.

-مقولة: "انت يهودي اذن انت متميز".

وعلى اساس هذه المقولات الفارقة في اللاجدل واللاتاريخ يستخلص الصهاينة القدامى والمعاصرون الادلة (المتوهمة) على دعاوى التوسع والعنف واغتصاب الارض.

ثانيا - النتائج الموضوعية

أ- النصوص والمؤلفات[1]

تشير كتابات الفلاسفة اليهود عبر مؤلفاتهم الى اتجاهين ايديولوجيين، يبدو ان للوهلة الاولى، مختلفين، ولكنهما متكاملان في الغايات والاهداف، يؤديان وظيفة تنويرية ثقافية وسياسية. فالاتجاه الاول يحاول عقلنة المفاهيم والمدركات اللاهوتية فيضع المسالة اليهودية في تراثها وحداثتها في دائرة ثنائية: (العقل والايمان).

---

[1] عبد الستار الراوي – الفكر الفلسفي اليهودي المعاصر. مجلة دراسات فلسفية – العدد الثاني (نيسان – حزيران) ٢٠٠٠/ بيت الحكمة بغداد.

وينطوي الاتجاه الاخر عبر غطاء الاتجاهات الفلسفية الحديثة والمعاصرة، فيلج باب الفلسفة من خلال اعتمادات وجودية وماركسية وليبرالية، لتتلت محددات هموم العقل اليهودي، وتسويق رؤيته للحياة والتاريخ والحضارة، والموقف عن الاخر.

١- في مؤلفه الشهير (.. في مفترق طرق)، يفلسف احاد هعام، دعوته الى وحدة الامة اليهودية، عبر بلورة (الانا العامة) الجمعية - التي يعدها: جوهر العقل اليهودي، والمعبرة عن هويته الثقافية، فهي تسترجدم قوته الابداعية الذاتية، وتؤكد ارادته الواثقة على ضرورة استمرار الوجود لا (شعب)، والبقاء الراسخ الجذور، في مواجهات تحديات (التيه)، و(القمع) و(التشريد) و(الشتات).

٢- وعبر (المكان والزمان والالوهية) ينشيء (الكسندر) مقولته الفلسفية في (الجدل الصاعد) من الادنى الى الاعلى من (النسبي) الى (المطلق)، ومن الانسان الى الاله، وتحت ظلال المثل الافلاطونية، وتاويلاتها الجديدة، يسمو (اليهودي)، ليصبح نسخة الهية على الارض، وبهذا ينقلب الجدل على راسه وبمقتضى الكينونة القدسية التي اضفاها الكسندر على (اليهودي)، فانه الكائن المؤهل في تطلعاته الى المستقبل، وتوقه الى استعادة (كينونته) المتعالية، وامتيازه الروحي المفارق الذي لا ينافسه احد من العالمين على مقامه.

٣- واذا كان هنري برجسون قد اهمل التراث اليهودي، ولم يشغل باله الشان القومي، فان فكرته حول (التطور الخالق)، و(الطفرة الحيوية)، احدثت ضجة كبرى في صف الفلسفة وفي تاريخها.. وان وصيته التي نشرت عام ١٩٤٩، عقب وفاته باربع سنوات، تكشف عن صلته الوجدانية العميقة باليهودية، وتفصح عن مجاباته لبني دينه!!.. وقبل اصدار أي حكم

على الرجل، يقتضي الامر اعادة قراءة فكره قراءة موضوعيـــة محـــايدة، تسعى الى اقصاء اية نتيجة قبلية وتتجه فقط الى تقويم مؤلفاته، وتحليـــل نصوصها، وتبحث عما وراءها من اهداف وغايات.

٤- ويطرح (بيرجمان)، ثنائية معضلة (اللاهـــوت والناسـوت) التـــي عالجها في كتابه: (الايمان والعقل)، ورغم محاولاته اعتماد المنطق الجدلي في الكشف عن ما هية الاختلافات بين (الحكمة والشريعة)، فانه ينتهي الى التوافق الغائي بين النقل والعقل، غير ان النتائج التي حاول انشاءها لم تقم في الاصل الا على مقدمات هزيمة المضمون، فهو لا يمـــيز بيـن (الغـث والسمين) في (النص الديني)، ولم يجر فصلا بين الروايـــات والمشـــاهدات الميثولوجية، وبين المعتقدات الدينية، فثمة العديد من الاشارات الـــى انـــه اعتمد على جانب من التراث اللاعقلاني الذي يفضي الى ابراز (المعرفايـــة) كصفة امتيازية لليهود، ويتبدى (التعصب) في اسوأ اشكاله، في مفهومــــه وادراكه الضيق للـــ(عقل)، فبدلا من ان يقر بديهية كونـــه جـــهاز تفكـــير يشترك فيه الناس جميعا، فان بيرجمان عدة (آلة خاصة)، تقتصـــر علـــى اليهود دون غيرهم من امم الارض.

٥- اما اشعيا برلين، فيعد اشهر من كتب عن (فقه الحريـــة)، مفـــهوما وادراكا وتجربة، وعد التجربة الاوربية مثلا انسانيا مشرقا في فهم وتفسير الحرية، فكرة وتجربة، وانطلاقا من تبنيه المنـــهج الليـــبرالي، فانـــه عـــد الماركسية نقيضا للحرية، ومجافية للارادة الانسانية وعندما اثيرت المسالة اليهودية كان برلين، يعيد اعتماداته الفكرية على نحـــو عرقـــي، لتصبـــح الحرية التي نادى بها، (حرية اليهود) وانهم اولى الناس بها، واقـــدر مـــن غيرهم على الوغي بضرورتها.. وهو ذاته الذي تخطى بديـــهيات حقـــوق الانسان، فلم يميز بين (المواطنة والاحتلال)، بعد ان دعا اليهود الى اقتـــلاع

(الفلسطينيين) من الارض، واعتبر (الازاحة) الجبرية لعرب الارض المحتلة، الاصليين هي بمثابة (تحرير) ارض المعياد، وحث على توسيع رقعة المستعمرات اليهودية، لاحلالها في الارض الجديدة، بعد ان جرى طرد السكان الاصليين.

٦- وعلى مقربة المنهج ذاته،/ يشيد (ارنست بلوخ) مشروع مدينته الفاضلة (مبدأ الامل)، في جملة من تصوراته الذاتية، التي يحاول اضفاء المقولات الماركسية عليها، باسلوب رومانسي، ولكنه (تحريضي) لا يمكن اهمال تناقضاته، اذ تتسع المسافة المفارقة بين المعتقدات الاممية في الدفاع عن حق الشعوب، ضد الظلم والاحتلال، وبين الدفاع عن (اسرائيل)، التي وجدت حسب مقولة (بلوخ)، لتبقى.

ولعل مشروع الامل الذي اسرف في توصيف مضامينه المستقبلية لم يكن بعيدا عن اللاهوت السياسي، الذي ينتهي به الى موقف شوفيني نقيض لماركسيته. فبدلا من ادانته للعدوان الصهيوني في الخامس من حزيران ١٩٦٧، نراه يتقدم صفوف المثقفين، ويحرص ان يكون اول الفلاسفة في ادانة مصر وسوريا والاردن لانهم حسب قوله يريدون اليهود خارج حدود وطنهم الاصلي!!.

٧- اما (بومجارت) فقد اثر استثمار الفلسفة، لابراز القيمة الاخلاقية والحضارية للـ(تراث اليهودي) اذ عدة الاصل الثابت، والجذور العميقة التي غذت الحضارة الانسانية، ونهضت على معطياتها وقد بسط حديثه عن (الفلسفة اليهودية)، وعرض لـ(تاثيرات ابن ميمون في الفلسفة الغربية والاخلاق).

ولا تخطىء العين النقدية ايقاع (الانا) اليهودية التي لا تفترض بل تؤمن ببديهية (الخصوصية)، و(الامتياز) و(التفوق) للشعب المختار!! اما ما عدا

(اليهودية) دينا او مجموعة تاريخية، او معرفة فلن تـــوازي او تصـــل او تقترب من (المثل) لهذه المجموعة (الفائقة)، ولن تكون في كل الاحــوال الا (نسخة) رديئة او ظلا زائفا او محاكاة ساذجة للنموذج اليهودي (الممتاز.

وبهذه الخطرات الذاتية اللا موضوعية تهيمن علـــى عقـــل بومجـــارت النخبوية النيتشوية اللا جدلية واللا عقلانية.

٨- وتجيء نجمة الانعتاق، الذي حاول (رونز فايج) ان يكـــون بمثابـــة المقدمة الكبرى في فلسفة التربية اليهودية، اسهاما منه في بلورة (الهويـــة القومية)، التي من شانها ان تفضي الى التحرر من الثقافات الـــلا يهوديـــة السائدة.

٩- ويتولى (اسرائيل افروس) اعداد دراسته حـــول اصالـــة (الفلســـفة اليهودية)، ومحاولة استعادة نصوصها الاولى، من اجل احياء معطياتها، في محاولة تذكير اليهود باهمية تراثهم العقلي واستثمار بعض مضامينها فـــي بناء الهوية والشخصية الجديدة.

١٠- ويصرف (زئيف) جهده المعرفي، صوب الاستيطان والهجرة، فيعد جملة من البحوث والمقالات لهذه الغاية، تحت عنـــوان (الاســـتيطان فـــي فلسطين).

١١- اما مارتن بوبر، فهو عقل مركب، وذاكرة موسوعية، ومواهـــب متنوعة، يتداخل ادبه (الفكر) بـــ(الاعلام)، والفلسفة بـــ(التمرد) و(الثـــورة) و(النداء الحركي)، انه منظر فيلسوف، داعية اعلامي صوفـــي، لاهوتـــي، كرس حياته، فكره علمه، قلمه، من اجل (ارض الميعاد).

ينطلق في خطوته الاولى من (فلسفة الدين)، صوب فلسفة (الانا والانت) مرورا بـــ(من اجل السماء) و(موسى واسرائيل والعلام) وينتقي من تـــراث وحياة اليهود وحركتهم (مختارات من الفكـــر الصـــهيوني)، (مملكـــة الله)

و(معرفة الانسان)، لعل كتابه الذي وضع له عنوان الحيدية والانسان المعاصر اكثر تاثيرا في الوجدان اليهودي.

١٢- ويقدم يوسف بور انشاءاته الفلسفية في مقابلة الكشف عن صلته (الوهم والواقع)، فيعالج معضلة التصورات الذاتية، في مقابل التصديقات التصورات الذاتية، في مقابل التصديقات الموضوعية، فيقرر عبر سلسلة من الامثلة والمشاهد، الى ان الفيلسوف ذاته قد يسقط في (الاوهام)، على الرغم من افكاره المنهجية وصلتها بالواقع.

ومن خلال هذه المعالجات وغيرها، التي عرضها في (الوهم والواقع)، اعد بوبر كتابه الثاني (اوهام فيلسوف واقعي)، الذي قيل عنه، انه من افضل مؤلفاته ذات الطابع النقدي، البالغ الرصانة والثراء.

لكن كتاب (وعي الدين)، على الرغم من اهمية موضوعه، لم يات فيه بجديد، فقد امتلأ بـ(خطرات ذاتية) لا تخلو من الاثار اللاهوتية الجافة.

ولعل (واجب توفير الغذاء) يفصح عن وعي الفيلسوف المبكر باهمية (الامن الغذائي)، الا ان هذه (الواقعية) التي تبدو في احد وجوهها، تنبئية او مستقبلية، لا تلبث الا وتتحول الى (نكوصية). فتثير في وجدان المؤلف الحنين الى العودة من التاريخ. والوقوع في شراك (اليوتوبيا)، برغم محاولته الايحائية بـ(الانفلات) من اسو وضغوط اللاهوتيات اليهودية.

ب- برامج العمل:

لم يكتف الفلاسفة اليهود بالمهام الفكرية او الانكفاء على تاملاتهم الفلسفية المجردة.. بل وجدوا ان (الواجب القومي)؟! يدعوهم، بل ويحتم عليهم ان يستكملوا دائرة النظر بما يجعلها حية، ترتبط بواقع (الشعب المقدس)، وتترجم آماله واهدافه، فانصرف الجهد الفلسفي الى بناء المقولات الجديدة، والتنظيرات الايديولوجية، في اطار تنشيط المبادىء

وتفعيلها مع متطلبات الواقع، فكان قانون الحركة، الذي اقترنت فيه (الفكرة) بالفعل، والعمل.

١- ولعل (احاد هعام) ١٨٥٦ - ١٩٢٧ يظل واحدا من الرواد الذي انتدب نفسه لتاسيس جمعية (بني موسى) ذات الطابع السري، دعوة وتنظيما في فلسطين وبلدان العالم، حيث يتولى من خلالها نشر المثل اليهودية، وبعث الاحساس بمعنى الوطن والامة، ونداء الارض المقدسة،... وبهذا الاتجاه عبأ للمثقفين والمفكرين وراء (رسالة اليهود المجيدة).

وقد احتفظ هذا الفيلسوف برئاسة الجمعية للفترة (١٨٨٩ - ١٨٩١)، الى جانب عضويته في الحركة الصهيونية. التي لم تكن مساهمته في انشطتها المتنوعة اخر المهام العملية، وانما حاول ان يقوم بعدة مهام، ويلعب اكثر من دور لتنفيذ الحلم الصهيوني. اذ كان لمشاركته الفعلية في تفجير الاحداث داخل فلسطين احد الاسباب التي ادت الى اصدار (وعد بلفور).

٢- عمل (بيرجمان ١٨٨٣) على استثمار جماعة (الكانتتين المحدثين)، لصالح الصهيونية، فاجتذب اليها المفكرين اليهود حتى اصبح لهم الصوت الاكبر على الجماعة.

٣- وياتي الكسندر (١٨٥٩ - ١٩٣٨)، عضو الحركة الصهيونية، ليدعو الى (اله جديد)، والى نظرة غير تقليدية للحياة والعالم تستجيب لتحديات العصر، وتجيب على اسئلته الحائرة، ولم يكن الاله الجديد الذي اصطنعه الا تشكيلا عرقيا يتسق ونظريته المادية التي تبحث عن ميتافزيقيا بلورية، ذاته نظام معرفي يجاوز غيرها من العقائد الدينية والتصورات والرؤى غير اليهودية.

٤- ولم يك (الكسندر)، هو الفيلسوف الوحيد الذي اثار ضجة في صف الفلسفة، فثمة فيلسوف اخر هو (برنشفيك ١٨٦٩ - ١٩٩٤) الذي فاجأ الجمعية الفلسفية الفرنسية، بـ(مشروع) ديانته الجديدة (ديانة المستقبل)، او ما اسماه بـ(العهد الثالث) الذي كان يريد من ورائه اظهار (عبقرية العقل اليهودي).. وبسبب هرطقته الصريحة كادت الجمعية تحرمه من عضويتها.

٥- اما مارتن بوبر، مفكر الصهيونية وفيلسوفها المعاصر فقد بادر الى تأسيس (ايحود)، وهي جمعية صهيونية، غايتها العمل على انشاء دولة عبرية على ارض فلسطين تستوعب (العرب) ايضا.

٦- وبمعاونة ودعم مارتن بوبر، وشتراوس، واريك فروم، اسس رونزفايج معهدا حرا في فرانكفورت لتدريس اللغة والتعاليم اليهودية.

٧- ويجيء (زئيف)، عضو المنظمة الصهيونية في (اثينا) ليتولى مع اخرين تأسيس حركة (مزراحي)، التي اصبحت من اكبر الاحزاب اليمينية في الدولة الصهيونية.

٨- وتتوالى ادوار الفلاسفة اليهود، فينضم (أهارون دافيد جوردون) إلى جماعة (أحياء صهيون) فيصبح من اشد قادتها حماسا في تحقيق اهداف الحركة الصهيونية.

٩- ولم يكن الفيلسوف (أشعيا برلين) الا عضوا في الحركة الصهيونية.

نموذج تطبيقي لبرامج العمل:

من اجل ايقاظ الوجدان، واغناء الوعي بـ(الهوية) وبناء الشخصية المتماسكة، المستقلة بذاتها التي يتعين ان تنفصل عن (الاغيار) وتدرك مخاطر (الاندماج) في المجتمعات الاجنبية.. حتى يبلغ الشوق والحنين والتوق الى (ارض الميعاد) غايته القصوى.. هذا هو الدرس الاول في

مقررات التربية اليهودية على امتداد ساعات الدوام المدرسي، بحيث يعد الاطفال والصبية والشبيبة إعداد نفسيا ودينيا وثقافيا، فيمتلئون بالتراث والثقافة اليهوديتين، وصولا الى مرحلة الاستعداد التام، انتظارا للخطة الحاسمة، أو ايماء البدء بالهجرة الى فلسطين.

وطبقا لهذه المرامي والغايات المستقبلية، اولى الفلاسفة اليهود اهمية بالغة في اعتقاداتهم الفكرية لمهمة اعداد وتعميم تجربة بناء الشخصية الجديدة في مجتمعات (الجيتو) وبين (الشتات)، بحيث تصبح التربية التعليمية الاطار العملي التدريسي/ التطبيقي، ليس فقط للاحاطة بالتراث اليهودي او استيعاب الثقافة الدينية، او تبني التفسير الصهيوني للمسالة اليهودية، وانما ايضا لاكتساب مهارات عملية تعينهم على تحديد ادوارهم في (مجتمع الغد) – ارض الميعاد – وكانت الخطوة الاولى في تنفيذ البرنامج التربوي، هي (إعادة كتابة التاريخ اليهودي)، على وفق توصيف درامي مثير، حيث ينهض اليهودي المحاصر من رماد الفجيعة، فيعيد الحياة الى الارض المقدسة، وبهذا الاسلوب الملحمي، البطولي، جرى تفسير وتاويل (الوقائع والاساطير) على شكل (قصص) و(روايات) مع العناية بـ(الجوانب الحضارية) التي تظهر مبتكرات العبقرية اليهودية في العلوم والمعارف والفنون، فتجتذب اليها الصبية والفتيان اليهود، حتى اصبح (اليهودي) كائنا متفوقا، مفارقا لغيره في الامكانات والمدركات، ياتي المعجزات كل حين.

وفي الوقت نفسه جرى اشباع الذاكرة اليهودية في اوساط الشباب والمثقفين، بالقيم الدينية بوصفها جوهر التراث الانساني.

واصبحت عملية الاعداد الفكري والاخلاقي وبسط الثقافة الجديدة، الغاية العملية الاولى لفيلسوف الصهيونية الثقافية (احاد هعام ١٨٥٦ – ١٩٢٧) الذي حاول ان ينهض بمهام البحث عن اسئلة العقل الصهيوني:

ـ ما العمل؟

ـ من اين نبدأ؟

ـ متى؟

ـ كيف؟

الذي يرى احياء مجد الوطن القومي، والعودة الى ارض الميعاد، لابد ان يسبقه احياء اليهودية ذاتها، وبعث الروح القومي في الشتات.

لم يؤرقه حلم الدولة، مثلما ارقة المستقبل، اذ اعتبر الدعوة الى انشاء (اسرائيل)، او تعيين هويتها الجغرافية، ليس الا نتيجة غائبة، يحتم تعيينها: قانون الحركة.

وان هذه الحركة ليست فكرة تجريدية، بل تخضع لمقدمات تكوينية في الذاكرة اليهودية، اذن.. من اين نبدأ؟

لابد ان تضع خطوة (اجرائية)، في دائرة الانشاء الاولى.

ونعني بها: الطفل.

فلا ندعه ينمو او يتشكل وجدانه، او يستقيم بناؤه النفسي في ظل اختيارات عائلية مستقلة عن برنامج شعب الله المختار. كذلك لا يمكن ان نسمح له ان ينشأ ضمن بيئة وتقاليد حرة، بل علينا ان نتولى امر تربيته وتعليمه، لينمو وينهض كما نريد، فلا نتركه بين قدريات الاغيار.

اذ يتحتم ان نضع البادئة، ونعمم الخطوات اللاحقة، والغاية التي نسعى اليها.

(اننا نريد اطفالا يهودا يجمعون على مبدأ واحد، ويمنحون ولاءهم لـ (جوهر) وجودهم اليهودي، وان يتشكل العقل صوب هذه الغاية!

من اجل هذه الدواعي، قدم هعام مشروع "التربية اليهودية" في العالم كله، عبر سلسلة منتظمة من الترتيبات النظرية، والاجراءات العملية، التي تؤمن للطفل اليهودي، فور ولادته وفي أي بيت على سطح هذا الكوكب، الاعداد الذي يستحقه نفسيا، وروحيا، واخلاقيا، طبقا لنصوص التلمود.. وعندما يصبح الطفل قادرا على القراءة، فإنه ملزم باستذكار التلمود لمدة سبع ساعات في اليوم الواحد، وعلى مدى سبع سنوات. اذا انجز الطفل اليهودي اعداده التربوي المتقن في ظل (المشناه) و (الجماراه)، فإنه يصبح (فودا) واعيا للمعنى الاخلاقي الذي تمثله في وجدانه ام توحي به: (ارض الميعاد). وعلى هذا النحو عد احاد هعام الاعداد التربوي الديني للاطفال اليهود، المقدمة الكبرى لقانون الحركة، والاسبقية المطلقة لأية خطوة تجاه الحلم الموعود!.. حتى انه عارض فكرة (الهجرة) الى فلسطين ما لم يتم الاعداد الثقافي الديني المسبق لمواطني (الدولة المنتظرة)، ففي رأيه ان الهدف الذي يتجه اليه العقل اليهودي ليس مجرد قطعة جغرافية تسمى (وطن)، يضم الشتات المتناثرين تحت سماء العالم، وانما الهدف الاعظم هو انشاء المواطن اولا.. الذي سيجد في ارض الميعاد (وطنا حقيقيا) يلهم في جهات الارض الاربع، ليعيدوا لشعبهم (الوحدة)، ويحافظوا على (هويتهم)، و(جوهرهم)، بوصفهم (شعب الله المختار)، الذي اختص دون غيره بحمل (رسالة خالدة) ذات مضامين اخلاقية متميزة.

ومن اجل ان يصبح هؤلاء (الاطفال) خميرة عقل الدولة وذراعها، فان (اسرائيل) ستصبح بهم، مركزا ثقافيا، روحيا، يجتذب نموذجه الراقي اليهود من كل حدب وصوب.

لابد اذن من اعتماد آلية تنفيذية، تحول افكار ورؤى ومرامي (هعـــام)، الى اجراءات عملية واقعية على الارض، لذلك بادر هذا الفيلسوف في عــام ١٨٨٩ الى تأسيس جمعية (بني موسى) BENE MOSES، التي كان من بيـن مهماتها الى جوار الاعداد التربوي والنفسي، تحقيق الغايات الآتية:

ـ نشر المثل القومية اليهودية.

ـ ايقاظ الوعي بمعنى (الامة)..

ـ تحمل مسؤولية الرسالة المجيدة.

ولم تكن تنأى بهذا المفكر، تأملاتـــه الفلسـفية بمعـزل عـن المجـال الصهيوني. فعقب اختياره الهجرة الى فلسطين عام ١٩٢٣، كـرس وقتـه ورؤاه وكتاباته لكيفية واحدة، هي محاولاته للاجابة عن الاسئلة الاخـرى.. كيف يخفق اليهود وحدتهم، ويجتمع شملهم، فينتظمون قلبا، وعقلا، وارادة وراء الحلم التلمودي الذي يحثهم على العـــودة الـى (ارض الله)!! بـهذا المنطق المزيج بالرومانسية والتعليل، يحاول هعام ان يبرهن على صدقـــه مع نفسه، وولائه ليهوديته، مثلما يوثق بـ (الفكـــر) و(الحركـة)، علــى تبادلية (النظر) و (العمل)، بعد أن بادر بنفسه الى المشاركة الفعالـــة فــي الاحداث التي انتهت الى اصدار (وعد بلفور).

وتفصح كتاباته الفلسفية، التي استثمرها فــي ايقـاظ ونشـر القضيـة اليهودية، تأثره بمرجعيات فكرية في مقدمتها (نيتشة) و(داروين).

فمن الاول: استمد فكرة (السوبرمان) Superman فقـال: بـــ(اليــهودي المتفوق) و (الشعب المتميز) و (الامة المبدعة ذات الرسالة المجيدة) وعن داروين: استعار نظرية (البقاء للأصلح)، فحاول البرهنة على ان اليـــهود، هم وحدهم (الاصلح بقاء)، لأنهم (شعب الله المختار)؟!

٥ـ ملاحظات نقدية

لابد من التنويه الى ان الفرق الموضوعي بين المبتكرات الفلسفية/ الفكرية، وبين الاصطناعات الذاتية. فاذا كانت الاولى تمثل خلاصة التجربة الإنسانية، في اغناء الافكار، وابتكار القضايا الكبرى، فإن الذاتية (الاصطناعات)، وان اوحى اصحابها بـ(جدتها) المعرفية، سرعان ما تنطفىء او تتلاشى. ازاء العمارة الفلسفية العامة، ذلك لأن عناصرها المعرفية المعدة سلفا، لا تستقيم مع العقل، وتنأى عن البرهان، فضلا عن مجافاتها للواقع.

وهذا ما يحدث في الفلسفة اليهودية. فجدلياتها اللاتأريخية، وخطاباتها الرومانسية، تنكفىء على تصورات ذاتية، املاها اللاوعي الديني المثقل بالأوهام والدعاوى، المقيد بلاهوت ثيوقراطي غليظ، يحد حرية حركته داخل منظومة الاساطير الصهيونية فيتداخل فيه النسبي بالمطلق، والانساني باللاهوتي، في دائرة جدلية زائفة.

ومن الامثلة والشواهد على ذلك الاصطناعات الاتية:

١ـ اذا كان هنري برجسون قد ابتدع فكرة (التطور الخالق) و(الطفرة الحيوية) نتيجة تأملاته الفلسفية، ورؤاه العلمية، فإن (برنشفيك) الذي اثارت افكاره ضجة في صفوف اللاهوت والناسوت، اصطنع ما اسماه بـ (العهد الثالث)، او ديانة المستقبل، لمجرد الاثارة الاعلامية، تعبيرا عن اصابته بالميول الاستعراضية، التي لم تجد فرصة لها في الاهتمامات العلمية.

٢ـ في حين اخفق ارنست بلوخ في تقديم اطروحته الفكرية، التي عدها خلاصة مراجعاته للماركسية، بسبب الخلط اللا موضوعي لديه بين الخلص والعام، والذاتي والموضوعي، وتحت ذريعة الاجتهاد من بنية النص الماركسي ذاته، نادى بـ (فلسفة الامل) او (الماركسية الانسانية)، التي

حملت نغمة (الماشيحانية) اليهودية، واذا كان بلوخ قد افرد فصلا لنقد صهيونية هرتزل البورجوازية على حد تعبيره في (مبدأ الامل)، فلأنه عدها دعوة قومية، لأنها تخاطب اليهود دون غيرهم، وتطالب بأرض ودولة.

بينما اليهودية التي يؤمن بها حد زعمه اكبر من الحدود الضيقة التي ارادها هرتزل، لأن وطنها هو العلم.. ولم يكن هذا العلم الذي يدعيه الا (يوتوبيا هس) التي استمد من نسيجها اللا واقعي، معظم مضامينها الاجتماعية، فتحولت لديه إلى: (اشتراكية مشيحانية دولية)، وهي ليست الا انتصارا للصهيونية وتحريفا للماركسية.

٣ـ ولعل الذي احدثه الفيلسوف مارتن بوبر في خارطة الافكار المعاصرة، لا يقل اهمية وتأثيرا عما اصطنعه ماركوز، ليس فقط بـ (فلسفة الحوار الوجودية)، انما بإصراره العجيب على استعادة تراث الحسيدية وتطوير مقولاتها، فأضفى على بنيتها الفكرية قسمات من الحداثة، والالوان العصرية، في محاولة انعاش الوجدان اليهودي، وايقاظ وعيه نحو (المزاعم الماشيحانية)، سواء التنبؤية منها، او الدور الذي يتعين ان ينهض به الجيل الجديد في تحمل مسؤولية هذا العالم.

٤ـ والشيء ذاته يتوالى تكراره في العقل اليهودي، وان اختلفت الوانه حينا، واساليبه حينا اخر.

فهذا هو (بومجارت) داعية الاخلاق الموسوية، يحرص على تأطير الوصايا والتقاليد بـ(التنزيل).. حتى يتحول المبدأ الاخلاقي لديه إلى (ميثاق) و(عهد).

وبموجب هذا الاصطناع يحاول (بومجارت) البرهنة على فلسفته اللاهوتية، التي تلتقي مع المقولات الصهيونية الدينية، من حيث تأكيد

الامتياز الروحي للنص الديني، الموجة إلى (الشعب المختار) من (الاله اليهودي)!!.

٥ـ ويحرص (اشعيابرلين) على تأكيد الامتياز الروحي لليهودية في الوجدان اليهودي، فيسعى إلى استعادة وتفسير الرؤى والاساطير والدعاوى اللاهوتية التي تعيد صياغة ميثولوجيا التفوق العرقي، لما اسماه بـ(العبقرية اليهودية) التي كرست اوهام (الشعب المقدس) و(العنصر الممتاز) و(السوبرمان اليهودي)!

اولا ــ الكتب:
١ــ مجموعة باحثين:
ــ الفكرة الصهيونية: (النصوص الاساسية):
سلسلة كتب فلسطينية/ العدد ٢١
اشراف: الدكتور انيس صايغ
ترجمة: لطفي العابد + موسى عنز
تعريف: الدكتور اسعد رزق.
مراجعة: هيلدا شعبان صايغ وابراهيم العابد
منظمة التحرير الفلسطينية / مركز الابحاث / بيروت ١٩٧٠.

٢ــ الدكتور عبد الوهاب محمد المسيري:
ــ الايديولوجية الصهيونية: (دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة)
ــ جزءان.
ــ عالم المعرفة ــ الكويت الطبعة الاولى ١٩٨٢.

٣ــ الدكتور حسن حنفي:
ــ هموم الفكر والوطن (جزءان).
دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة ١٩٩٨.

٤ــ آرنست بلوخ ــ فلسفة عصر النهضة/ دار الحقيقة . بيروت ١٩٨١.

٥ــ الدكتور عبد الوهاب المسيري.
نهاية التاريخ.
القاهرة ١٩٧٥.

٦ــ الدكتور اسعد رزق:
ــ اسرائيل الكبرى.
منظمة التحرير الفلسطينية ــ مركز الابحاث . بيروت ١٩٦٨.

٧ــ انجلينا الحلو:
عوامل تكوين اسرائيل.
منظمة التحرير الفلسطينية ــ مركز الابحاث . بيروت ١٩٦٧.

٨ــ خيري حماد:
الصهيونية: جذورها . نشأتها . اهدافها
القاهرة ١٩٦٨

٩ــ ضياء اويغور
ــ جذور الصهيونية
بغداد ١٩٦٦

١٠ــ مجموعة باحثين:
ــ الصهيونية العنصرية.
المؤتمر الفكري الاول حول الصهيونية (مجلدان)

مركز الدراسات الفلسطينية:بغداد . المؤسسة العربية للدراسات والنشـــر بيروت ١٩٧٧

١١ــ غسان كنفاني.
ــ في الادب الصهيوني.
منظمة التحرير الفلسطينية . مركز الابحاث . بيروت ١٩٦٧

١٢ــ مجموعة باحثين:
المجتمع الاسرائيلي (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية)
مركز الابحاث الاستراتيجية . الاهرام . القاهرة ١٩٨٠.

١٣ــ مشهور سلامة:
نظرية الامن الاسرائيلي
مطبعة اليقظة . الكويت ١٩٨٥

١٤ــ الدكتور عبد الستار الراوي
الايديولوجيا والاساطير.
وزارة الثقافة والاعلام . بغداد ١٩٨٩

١٥ــ نصر شمالي
افلاس النظرية الصهيونية
منشورات فلسطين . مطابع الكرمل . بيروت ١٩٨١

ثانيا - الموسوعات

١ــ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية.

تأليف: الدكتور عبد الوهاب المسيري. القاهرة ١٩٧٥

٢ــ الموسوعة اليهودية (باللغة الروسية).

موسكو . الطبعة الاولى ١٩١٢.

٣ــ موسوعة الفلسفة اليهودية

تأليف الدكتور عبد المنعم الحفني . القاهرة ١٩٩٠

٤ــ الموسوعة الفلسفية

تأليف م . روزنتال + ب . يودين . دار الطليعة بيروت ١٩٨١

٥- Patai, Raphael,
Encyclopedia of Zoinism and Israel,
Newyork ١٩٧١

٦- Ferm, Vergilius, - An Encyclopedia of Religion, New york : Philosophical
Library ١٩٥٥.

٧ــ القاموس الفلسفي

تأليف يوسف كرم واخرين . القاهرة ١٩٦٦.

ثالثا - الدراسات والابحاث

١ــ الدكتور احمد سوسة .

ــ صفة التلمود

مجلة الدراسات الفلسطينية . جامعة بغداد / العدد ١/ ١٩٧٤.

٢ــ حليم بركات

ــ الطائفية والصهيونية

المؤتمر الفكري الاول حول الصهيونية.

بغداد ١٩٧٦
٣ــ خالد القشطيني.
الجذور الايديولوجية للعنصرية الصهيونية.
المؤتمر الفكري الاول حول الصهيونية.
بغداد ١٩٧٦.
٤ــ السيد ياسين
الصهيونية ايديولوجية عنصرية
المؤتمر الفكري الاول حول الصهيونية.
بغداد ١٩٧٦
٥ــ الدكتور عبد الستار الراوي
ــ المكونات العنصرية والرجعية للفكر الصهيوني
دراسة تحليلية.
جريدة الجبهة الوطنية بغداد العدد ٦٥
في ٢٥/ ١١/ ١٩٧٩.
ــ الفكر الفلسفي اليهودي المعاصر/ مجلة دراسات فلسفية ــ بيت الحكمة
٦ــ س . غورانوف:
ــ الصهيونية شكل من اشكال العنصرية.
المؤتمر الفكري حول الصهيونية . بغداد ١٩٧٦
٧ــ روجيه غارودي:
ــ .. عن الذرائعية الدينية والتاريخية للصهيونية .
بغداد ١٩٧٦
٨ــ ألن تيلور:

ـ الصهيونية بين النظرية والتطبيق.
بغداد ١٩٧٦.
٩ـ مجاهد علي شراب:
ـ الحركة الصهيونية: حركة عنصرية.
بغداد ١٩٧٦.
١٠ـ عابدين جبارة
ـ الصهيونية والعنصرية. بغداد ١٩٧٦.

الفهرست

الدكتور عبد الستار عزالدين الراوي

ولد في الكرخ/ بغداد ١٩٤١

سفير العراق في طهران،

استاذ الفلسفة وتاريخها.

جامعة بغداد.

عضو الجمعية الفلسفية العربية (عمان)

عضو قسم الدراسات الفلسفية (بيت الحكمة)

عضو جمعية التشكيليين العراقيين.

عضو جمعية الباراسايكولوجي العراقية.

من مؤلفاته المنشورة:

ـ العقل والحرية بيروت ١٩٨٠

ـ مناهج البحث في العلوم الطبيعية بغداد ١٩٨١

ـ ثورة العقل بغداد ١٩٨٢ . ط ٢ ، ١٩٨٤

ـ فلسفة العقل بغداد ١٩٨٤ ـ ط٢ ١٩٨٥

ـ الفكر السياسي الايراني المعاصر ١٩٨٥

ـ الايديولوجيا والاساطير ١٩٨٨

ـ التصوف والباراسايكولوجي ١٩٩٤

ـ العقل العربي المعاصر بيروت ١٩٩٦

ـ الاسلام السياسي (مقدمة اولى) ١٩٩٨

ـ وردة الغد بغداد ١٩٩٩

ـ فردوس الكرخ (شعر) بغداد ٢٠٠١

ـ اسهم في تأليف وتحرير مواد الموسوعة الفلسفية العربية ـ بيروت ١٩٨٥.

الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب

العراق - بغداد - المنصور - شارع النقابات

حي طرابلس - هاتف / ٥٣٧٢٨٧٥-٥٣٧٢٨٧٦

ص.ب .(٦٣٧٨)

فاكس: ٥٣٧٢٥١٦

سكرتير التحرير والاخراج الفني
جمال حسن العتابي